

الحب حمل يثقل كاهلك،
وأفضل ما يمكنك فعله
هو قتله



16.9.2015

الشيطان امرأة

هاندي ألتايلي

ترجمة: ياسمين مصطفى



روايات مترجمة

الشيطان امرأة

رواية لـــ...هاندي أتايلي

ترجمة...ياسمين مصطفى

الشيطان امرأة

هاندي أتايلي
ترجمة: ياسمين مصطفى
تحرير: نلجح إبراهيم

الطبعة الأولى : 2015
رقم الإيداع: 2014/21130
الترقيم الدولي: 978-977-319-215-0
الغلاف: محمد السيد
60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة
ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566
www.alarabipublishing.com.eg



تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة الترجمة
المقدمة من معرض الشارقة الدولي للكتاب

This book has been translated with the assistance of the Sharjah International Book Fair Translation Grant Fund



بطاقة فهرسة

الشيطان لمرأة : رواية من الادب التركى/ترجمة ياسمين مصطفى .– القاهرة: العربي للنشر والتوزيع 2014

- ص؛ سم. تدمك 9789773192150

1- القصص التركية أ- مصطفى- ياسمين (مترجم) 894,353

1

أكتوبر ٢٠٠٣

قد كان يومًا مأساويًا، بكل وضوح.

لأول مرة في حياتها، تشتاق "آشلي" للقهوة التركية فور استيقاظها. إلا أن تلك القهوة فارت وأحدثت فوضى بالموقد - أول وقائع سوء الحظ باليوم! - ثم تمزق بنطالها المفضل، ذاك الذي يَجعل أردافها أكثر إثارة. وأخيرًا وليس آخرًا؛ اصطدمت سيارتها بشاحنة قمامة. وبطبيعة الحال، لم يصب الشاحنة أي ضرر، لكن أضرارا جسيمة لحقت بالسيارة، يا للخسارة! بدت ككهل ذو نظرة كريهة على وجهه. أمضت "آشلي" نهارها مع الشرطة، والمحضر، وكل الرسميات الأخرى.

لم تكن سرعة "آشلي" تتعدى الثلاثين كيلومترًا في الساعة عند الاصطدام، لكن حالة سيارتها جعلت الأمر يبدو وكأنها نجت للتو من اختبار تصادم. وقعت الحادثة أثناء تفتيشها حقيبتها عن هاتفها الجوال.

وإنه لأمر طبيعي، لمن تقضي ١٠٪ من وقتها في البحث عن هاتفها، أن تواجه سوء حظ مماثل.

صرخت "آشلي":

- ياللعنة!

ثم كررتها مرة أخرى، بصوت أعلى غير مكترثة بنظرات الشرطي المتعجبة:

- ياللعنة!

شعرت "آشلي" في طريقها إلى الورشة أن المدينة قد ازدادت كآبة واغبرارًا. فرغم كونه يوما من أواخر أكتوبر إلا أن الجو كان رطبًا. وكالعادة، كانت حالة بطاقات الائتمان الخاصة بها مروعة، كما أنها لم تسدد تأمين السيارة منذ شهور. وتساءلت "آشلي" (هل يمكن أن تزداد الأمور سوءًا؟!) كانت تتمنى ألا يتسبب عمال الورشة في المزيد من المشاكل، خاصة وأنها لم تقم بحجز ميعاد. لكنهم سيدفعون الثمن في حالة إثارتهم للمتاعب. فستقوم - في أسوأ الأحوال - بإلقاء مفاتيح سيارتها على رأس أحدهم، ثم تقفز في سيارة أجرة وتهرب. وعندما اتصلت بمقر عملها لتعلمهم أنها ستتأخر، كان قد مر على موعد حضورها المفترض ساعتان بالفعل. حمدًا لله أن لم تكن هناك أشغال أو اجتماعات - و هي عادة بلا أهمية - لتقوم بها هذا الصباح.

عندما وصلت "آشلي" إلى الورشة رسمت على وجهها الغضب، صفت

سيارتها ودلفت وكعب حذاءها العالي يصدر صوتا مُلفتًا. لن يجرؤ عاقل على العبث مع امرأة في مثل هذه الحالة. أو أنه يجدر به على الأقل ألا يفعل. في الورشة كان هناك رجلان يشربان الشاي في مكتب يملأه دخان السجائر.

سألها الرجل الجالس خلف المكتب:

- كيف أستطيع مساعدتك؟

- صدمت سيارتي.

وشرعت "آشلي" تشرح في عجالة:

- يجب أن أترك سيارتي وأذهب في الحال، أعرف أني لم أقم بالحجز، بالإضافة إلى أنه لا تأمين لدي، لكن تلك هي بطاقة العمل الخاصة بي، وسأقدر لك ذلك إن حسبت التكلفة وأرسلت لي المبلغ التقديري بالفاكس.

قال الرجل الآخر:

- يؤسفني ما أصابك.

شيء ما في صوته الفحولي أزعج "آشلي" فقالت وهي تلتفت إليه:

- شكرًا.

وحينها، توقف الزمن.

حينما تفترض أن الأمور يستحيل أن تزداد سوءًا، فإن الحياة غالبًا ما تثبت خطأ افتراضك. وتلك القاعدة لا تنطبق على افتراضك أن الأمور لا يسعها أن تصبح أفضل.

أحست "آشلي" بارتفاع ضغط دمها فكتمت أنفاسها. حتى ذلك اليوم، حدث أن شعرت لأربع أو خمس مرات بأن الله قد طرح جانبًا أعماله الهامة، وتفرغ لإزعاجها. وتأكدت أن ذلك الأمر يتكرر الآن. تسارعت دقات قلبها وأغرقت الآلاف من الذكريات الحمقاء المشتتة عقلها. نظرت ذاهلة إلى الرجل، الذي قام من مجلسه مبتسمًا وقال:

- تبدين وكأنكِ صادفت شبحًا.

فردت:

- قد فعلت.

2

عندما قبل "عُمر" خديها بدأت "آشلي" ترتعش بعنف، ورغم تمكنها من إخفاء يديها المرتعشتين خلف ظهرها إلا أنه لم يكن هناك ما تستطيع فعله حيال ساقيها. شعرت كأنها توشك على السقوط، ثم أشتمت رائحة عطره - قد استبدله بآخر.

سألها "عُمر" ممسكًا بكتفيها:

- كيف حالك؟

- بخير .... فاجأتني رؤيتك، ماذا تفعل هنا؟

- كنت بانتظارك .... كلا، إنني أمزح، قد مررت فقط لأسلم على "مليح".

حياها الرجل الجالس خلف المكتب - يفترض أنه "مليح" - بإيماءة من رأسه، فردت عليه بابتسامة محايدة، ثم قالت لـ"عُمر":

- أرى أن الزمن لم يؤثر في حس دعابتك كتأثيره في شعرك.

لم تصدق أنها استجمعت نفسها بتلك السرعة، حمدت الله على هيئتها

وحال شعرها، وأضافت حمدًا مخصوص للستة أرطال التي فقدتهم الشهر السابق، ولما استشعرت في نفسها قوة مكنتها من وضع ابتسامة عذبة على وجهها، قالت:

- أنا سعيدة لرؤيتك، لكن يتوجب علي المغادرة الآن.

رد "عُمر":

- كنت علي وشك الذهاب أيضًا، سوف أوصلك.

- لا داعٍ لذلك، مكتبي في الاتجاه الآخر.

- كلا، لدى مكتب جديد، ومكتبك في طريقي.

فردت "آشلي" بحدة:

- لدي مكتب جديد أيضًا.

- لا تقلقي، أعرف مكان عملك.

عكس رده نبرتها، ثم أضاف:

- "مليح"، هذه المرأة صديقة، لذا فستعتني بسيارتها جيدًا، أليس كذلك؟

أصابت طريقة نطق "عُمر" لـ"صديقة" قلب "آشلي" كالسهم، وشعرت برغبة عارمة في صفعه بحقيبتها.

رد "مليح":

- لا داعي للقلق، سنقوم باللازم.

كان ركوب سيارة "عُمر" والتحدث معه هو آخر ما تود "آشلي" فعله. لكنها لم تريد أن يشعر برغبتها في الهروب، لذا تبعته بإذعان.

ما أن ركبا سيارة "عُمر" الـ"بي أم دابليو" الجديدة، حتى فقد العالم واقعيته. بدا كل شيء حولها كأنما تكسوه طبقة رفيعة، بيضاء، شفافة. شعرت بغربة عن صوتها، يديها، حقيبتها، عمال الورشة، وحتى عن الشمس التي كانت تكافح لتطل بوجهها من بين السُحب. غاصت في المقعد الجلدي واستنشقت الهواء بعمق، تنفست رائحة السيارة لتأكد لنفسها أن العالم الحقيقي مازال موجودًا. وبينما تنتظر أن يُشعل "عُمر" المحرك، حدثت نفسها (إذًا فهو يتحدث مع الناس عني، وإلا فكيف له أن يعرف مكان عملي؟).

خلال سبع سنوات طوال، لم تذكر أسم "عُمر" أبدًا، ولا سمحت لأحد بذكره. لم تتحدث عنه إطلاقًا.

أثناء القيادة، ألقت "آشلي" نظرة خاطفة على "عُمر"، تحول شعره إلى اللون الرمادي قليلًا، وازدادت التجاعيد بجبهته عمقًا. كان يرتدى بذلة فاخرة وقميص ناصع البياض بياقة عالية، لطالما كان مهتمًا بمظهره، فرغم كل السنين التي انقضت، لم يكن لديه حتى قليل من دهون المعدة، بدا جسده متناسقًا.

كسرت "آشلي" الصمت:

- تبدو جيدًا.

- شكرًا، ينطبق ذلك عليكِ أيضًا، في الواقع تبدين الآن أفضل من الماضي.

ردت "آشلي" بحسم:

- دعك من هذا، أنا امرأة ناضجة أبلغ ثلاثة وثلاثين عامًا.

كانت تعلم حقيقة أنها تبدو رائعة، وجعلها ذلك تشعر بالنصر. لطالما كانت من النوع الذي يهوى الرجال التحديق به، تحدد وجهها خصلات ذهبية، وتتحول عيناها ذاتا اللون البندقي إلى إحدى درجات الأخضر من حين إلى آخر. اعتاد "عُمر" أن يطلق عليهما "قطرتا العسل"، ولكنه تسبب كذلك في تحويلهما إلى كأسي دم.

شعرت "آشلي" بألم حاد في أعماق قلبها، ألم حسبته اختفى منذ زمن، وارتجفت لإدراك وجوده بعد كل تلك السنوات، وبعد كل ما بذلته من جهد كي تنسى. صار من الواضح أن الوقت قد أخفى الأسى لكنه فشل في مداواته. شعرت بقلة الحيلة، فمن الواضح أنها لم تتمكن بعد من التغلب علي ما مرت به.

كانت صدفة حسنة أن عطست، سحبت منديل من حقيبتها لتجفف عيناها وهمست:

- لدي حساسية.

هذا صحيح، لديها حساسية من الأتربة، المنظفات، شعر الحيوانات، و"عُمر"...

رد "عُمر":

- أعلم ذلك، أخبرتني "زيرين"، وأعلم أيضًا أنك تلقيتِ تطعيمًا، أيساعد ذلك؟

تفحصته "آشلي" ثم تمتمت:

- نعم، فأنا أفضل كثيرًا.

شعرت بأنها مُستنفذة، رأسها كسوق انفجرت به قنبلة للتو. إذًا فـ"زيرين" هي من تمده بالمعلومات. هل تقابلا؟ هذا الوغد مازال يتحدث إلى أصدقاءها، وأصدقاءها يتحدثون إليه.

كانت "زيرين" صديقة لـ"آشلي" المُقربة، شهدت بشكل مباشر ما مرت به "آشلي" منذ أعوام وكيف تسبب هذا الرجل في عذابها. رأت أكثر الأيام رهبة في حياة "آشلي" وكيف انهارت. رغم ذلك، مازال باستطاعة "زيرين" التحدث إلى "عُمر" وإخباره عن "آشلي". ياللهراء! شعرت "آشلي" فجأة كأنها ذلك الأحمق البائس في فيلم (Truman Show).

عندما يصيبك مكروه، فإن أقرب الأصدقاء يتحولون إلى أسماك قرش تشتم الدماء. وسيبذلون قصار جهدهم للحصول على مزيد من المعلومات أو حفنة تفاصيل تشبع نهمهم للنميمة. كثيرًا ما رأت "آشلي" ذلك:

كعكات من البهجة مغطاة بطبقة حزن رقيقة.

فجأة، أمسك "عُمر" بيدها:

-أخبريني إذًا، كيف تسير الأمور؟ ماذا تفعلين هذه الأيام؟

تسارعت دقات قلبها وهي تقاوم رغبتها في سحب يدها. خافت أن تصاب بإغمائه، وأجابت:

- لا شيء، الأمور المعتادة.. العمل وهكذا ... أنت تعلم.

- سمعت أنك تعملين بكثرة.

ابتسمت "آشلي" بدلًا من الرد، من المرجح أن "زيرين" أخبرته بذلك أيضًا، وتساءلت عن أي شيء آخر عساها أخبرته، هل يعلم "عُمر" عن حياة "آشلي" العاطفية؟ هل يعلم بأمر الرجال الذين دخلوا حياتها وغادروها؟

أصبحا على بعد خمس دقائق فقط من مكتبها. سألها "عُمر":

- هل أصاب السيارة الأخرى أضرارًا كبيرة؟

ردت "آشلي":

- على الأقل لست مضطرة لدفع أي شيء.

- لماذا؟

قالت "آشلي":

- عار عليك، لا تنظر إلي هكذا، أنت تعلم أني لست من الذين يخطئون ثم يهربون.

(على عكسك) حدثت نفسها، ثم أكملت:

- صدمت شاحنة قمامة.

أمر لا يُصدق! كانت تجلس هادئة إلى جوار "عُمر" تُلقي النكات، يبدو أن الزمن قد جعل منها ممثلة ماهرة.

سأل "عُمر":

- أما تزالين غاضبة مني؟

لم تتوقع السؤال، وانفجرت ضاحكة:

- بعد كل تلك السنوات؟ لقد مر زمن طويل.

حدق بها "عُمر":

- حقًا؟

- أوه! لقد وصلنا.

توقفت الـ"بي أم دابليو" الضخمة بجانب الرصيف، وترجلت "آشلي"، لوحت لـ"عُمر" مبتهجةً، وتفرقت السحب مفسحة مكانًا للشمس، ثم استدارت "آشلي" وخطت نحو مقر عملها برشاقة، وحينئذ فقط تركت الدموع تسيل على وجهها.

3

عبرت خلال الباب الدوار الضخم، ودخلت المصعد تحت أنظار أفراد مكتب الاستقبال الفضولية، وفور وصولها للطابق التاسع احتمت بمكتبها دون أن ترد تحيات زملائها، وبالرغم من الحوائط السميكة التي تحميها، إلا أنها شعرت كأن بإمكانها سماع تهامسهم، قالت متذمرة:

- تبًا لهم.

لم تعد تعبأ بهم. ألقت بنفسها على الأريكة الرمادية اللون كأن جسدها عبارة عن حقيبة فارغة. بدأت دقات قلبها تتباطأ، وعندما أنهكها حملها العاطفي استغرقت في النوم، ملطخة التنجيد بالماسكرا من رموشها المبتلة.

جعلها رنين الهاتف الحاد تقفز من مكانها، رفعت السماعة وهي تفكر بكل الكلمات السيئة التي تعرفها. لكن السكرتيرة أخبرتها بحياء أن المدير العام - "علي كريم" - ينتظرها في مكتبه.

يا له من توقيت! كان هذا آخر شخص تود رؤيته الآن. جددت مكياجها

وأصلحت شعرها على عجل، تركت مكتبها واتجهت لمقابلة "المطرقة". اخترعت تلك الكنية وسرعان ما انتشرت في الشركة حتى أنها بلغته بعد ثلاثة أيام فقط. وعندما طلب منها تفسيرًا، كان أوان النكران قد فات، ويستحيل بالطبع أن تشرح له ما بينه وبين القرش المطرقة من شبه. لذا أخبرته أن تلك الكنية كناية عن سلوكه الخالي من الرحمة تجاه منافسيه، وقدرته على تدميرهم بدهائه الحاد. لعنت نفسها داخليًا وهي تكذب قائلة:

- أنت تنتصر عليهم بذكائك.

أضافت إلى ذلك شكها في نوايا من فسروا له الأمر على نحو مختلف. ولما كان شرحها مُرضيًا له، فقد تبنى الكنية بفخر، حتى أن "آشلي" خشيت أن يطلب من وكالة الإعلانات تصميم شعار عبارة عن عقل في هيئة مطرقة.

عندما دلفت إلى مكتب "علي كريم"، استفزتها ضحكته السمجة وثقته الزائفة أكثر من المعتاد. غالبًا ما يكسو وجهه تعبير مُتحير وسخيف إلى حد ما، بسبب حاجبيه المرفوعين دائمًا. تعتقد "آشلي" أن هذا التعبير التصق بوجهه منذ لحظة سماعه نبأ تعيينه مديرًا عامًا. فقد كان "علي كريم" أحمق بمعنى الكلمة ولم يتوقع أحد وصوله إلى هذا المنصب. ولا يزال بعض موظفي الشركة في حالة إنكار، توقعوا في البدء ألا تطول مدة تعيينه عن أشهر قليلة، إلا أنه - وبعد أربع سنوات كاملة – ما يزال يدفئ مقعد المدير العام.

قال "علي كريم" مشيرًا بذراعه البدين نحو كرسي أمام مكتبه داعيًا

"آشلي" للجلوس:

- صباح الخير، بلغني أن مزاجك سيئ اليوم، فطلبتك لنجري محادثة من القلب للقلب.

- شكرًا، لكني لست في حالة تسمح لدردشة من القلب.

سألها "المطرقة":

- أهو الحب؟

و غمز لها كفتى لعوب - وهو ما لم يكونه.

أجابت "آشلي" بحدة:

- ليس حقًا.

لم يكن إعجاب "علي كريم" بـ"آشلي" سرًا رغم كونه متزوجًا. فجميع من في الشركة يلاحظون نظراته لها، وأعذاره التي يختلقها كي يتناول الغداء معها. كما كان يتلاعب ليأتي بحجج لضمها إلى رحلات العمل بالخارج. وبالتأكيد فقد باءت جميع محاولاته بالفشل.

- أكره الحمقى.

اعتادت قول ذلك لمن يحاولون إغاظتها، وتضيف:

- خاصة القبحاء منهم.

لم تستطع مقاومة اختلاس النظر إلى ذراعي "علي كريم" الغير متناسقتين. أثارت معدتها تلك الأطراف الرطبة، الوردية اللون، المسطحة كأنما دُهِست. كانت دومًا ما تلاحظ – للأسف - يديه القبيحتين رغم محاولاتها الدءوبة ألا تفعل. وتخيلت لوهلة أن هاتين اليدين تداعبا جسدها، فارتعشت تقززًا. تفضل "آشلي" الأيادي النحيلة – جافة وشديدة.

قال "علي كريم":

- يبدو أنكِ لن تُفضي إلي بشيء اليوم.

كأنها اعتادت مشاركته أسرارها.

تذكرت فجأة أن مصادفة "عُمر" لم تكن الكارثة الوحيدة في اليوم.

- تعرضت لحادثة سير، اصطدمت بشاحنة قمامة وحالة سيارتي سيئة.

شهق "علي كريم" وهو يقفز من كرسيه بقلق مصطنع ليضع ذراعه حول كتفها:

- هل أنت بخير؟

- أنا بخير، فقط منزعجة بعض الشيء.

- هل هناك ما يمكننا القيام به بخصوص سيارتك؟ أرسل شخصًا

ليعتني بها؟

- شكرًا، لا داعي لذلك، يتم الاعتناء بها بالفعل.

قال "علي كريم":

- دعيني أرتب لكِ إحدى سيارات الشركة إلى أن تتسلمي سيارتك من التصليح.

من الواضح أنه تحمس لاستغلال تلك الفرصة ليلعب دور السند، رفع سماعة الهاتف وأصدر بعض الأوامر لسكرتيرته، لابد للمطرقة من الاستعراض حتى وهو يطلب سيارة، ولو أن ذلك ممكنًا، لسجل ذلك في تقارير الشركة السنوية.

قال "علي كريم" وهو يضع السماعة:

- من الأفضل أن تذهبي إلى المنزل للحصول على بعض الراحة.

كان مستمتعًا بممارسة دور الملاك الحارس.

ردت "آشلي":

- سيفيدني ذلك، فأنا منهكة.

لم تنسى أن تعطه ابتسامة رقيقة، فهو يستحق ذلك على الأقل.

- أبلغيني إن احتجتِ أي شيء آخر.

قالت "آشلي" وهي تتوجه إلى الباب:

- شكرًا لك.

كانت متلهفة للخروج من مكتبه بأسرع ما يمكن، وتوقن بأنه رمقها بنظرة متفحصة أثناء خروجها من الباب.

4

شعرت "آشلي" بالأمان فور وصولها للمنزل، صارت الآن بعيدة عن ساحة المعركة، عن الرصاصات الرنانة وأصوات القنابل، عن الأدمغة المتفجرة، عن البشر المقطعة إربًا وعن أجزاء الأجساد الدامية المختلطة بالوسخ، فلا وجود لذلك هنا. إنه منزلها المشرق، الهادئ، طيب الرائحة. بابها مفتوح فقط لحفنة من الأصدقاء الجديرين بالثقة، قامت بانتقائهم بعناية. لم تكن تدعو الجميع إلى منزلها. يصيبها الاضطراب والقلق إذا ما اضطرت لاستضافة من لا تعرفهم جيدًا، أو من هم خارج نطاق الأمان الخاص بها، عندها تبدأ كلاب الحراسة في روحها بالنباح الشرس، ويستمر لديها لأيام شعور بأنه تم الاعتداء عليها.

تنتقداها "زيرين" و"نالان" لعدم إضافة الحيوية إلى منزلها بإقامة الحفلات به. كانتا مقتنعتان بأنه المكان الأمثل للتجمعات وأنه يجب ملأه بالناس، فسيحبان بالتأكيد رؤية رجال وسماء يحملون المشروبات في أيديهم، يتجولون في غرفة المعيشة الرحبة شتاءًا، وفي الشرفة الضخمة المُطلة على البوسفور صيفًا. أحيانًا تحقد "آشلي" على منازل أصدقاءها التي تضج بالحياة. فقد أحبت جرس باب منزل "زيرين"، الذي لا يتوقف عن الرنين،

وأصدقاءها الذين يأتون بتلقائية، وغرفة معيشتها الدافئة حيث الموسيقى المتعة حاضرة دومًا في الخلفية، وزجاجات النبيذ التي تفرغ في ثوانٍ، كان منزل "زيرين" مكان نابض بالحياة ومليء بالبهجة، يتوافد الجميع عليه بهدف الثرثرة، يتشاركون مشكلاتهم، يتبادلون النميمة، ويستمعون إلى الأخبار الطازجة. تفوح الروائح الرائعة من المطبخ باستمرار. لعلهم الأشخاص الذين يحبون مشاركة حياتهم، يحبون أيضًا مشاركة منزلهم، لكن "آشلي" لم تكن ذلك الشخص. لم تهوى أبدًا مشاركة نفسها أو حياتها، ولم يشغل ذلك ذهنها. كانت هناك أمور لا يمكن تفسيرها فيما يتعلق بمشاعرها، لذا كانت قلقة دومًا لعدم كفاية الكم الذي يمكنها سرده عن حياتها. ولهذا لم تكن تحب الاستماع إلى شؤون الآخرين. ففي نهاية الأمر، ماذا هناك كي تعرفه عنهم؟ إن لم يكن لديها علم عما يوجد بكثرة في حياتهم وما يوجد بقلة، كيف يمكن أن تُكوِّن عنهم فكرة مُسبقة وكأنها حقيقة مُنزلة؟ وغير ذلك، فهل حياة أي شخص شيقة كفاية لتناقش في ساعات؟ فكل شيء، وبلا استثناء، تمت تجربته مُسبقًا من قِبَل أناس آخرين ملايين المرات، الحب، الخيانة، السرقة، الطموح، التكبر، فهل كان أي منهم مفاجئًا؟

كانت "آشلي" تفتقد الفضول على الأرجح، لم يكن لديها فضول تجاه حياة الآخرين، وبطبيعة الحال لم تتمكن من استيعاب اهتمامهم بحياتها. لا يرجع ذلك إلى لامبالاة أو بلادة شعور. فهي مستمعة جيدة لأي صديق في أزمة، لكنها - حتى أثناء ذلك - غالبًا ما تشعر بالملل. من ذا الذي يعلم كم مرة اختبأت في مقاعد "زيرين" المريحة، وارتشفت نبيذها، وتركت عقلها ينجرف بينما يشتبك المدعوون الآخرون بحماس في محادثات صغيرة. ولما

أصبح زهد "آشلي" في تلك الأشياء أمرًا واضحًا، تم تهميشها.

خلعت "آشلي" ملابسها وأبقت على حمالة الصدر والسروال الداخلي، ألقت بملابسها على الأرض وألقت بنفسها على المقعد الأبيض بلون الثلج أمام التلفزيون، وضعت قدميها الصغيرتين على الكرسي المخصص للقدمين. نزفت جراحها القديمة بعنف لدرجة أنها شعرت كأنها مجروحة جسديًا. ظنت أنه لو مرت ألف سنة، ستظل غير جاهزة لمواجهة "عُمر".

لا تدري بشكل مؤكد إن كان الحب أم الكبرياء مسئولا عما تشعر به حاليًا. إن كان الحب، ألم يُستنفذ بعد؟ وعلى الصعيد الآخر، هل كان كبرياءها ملتهبًا لدرجة أن يجعلها تعانى بشدة من تلك اللطمة؟ هي لم تحب أبدًا أصحاب الكبرياء المنتفخ. إيمانهم الشديد بأهميتهم يجعلها تنكمش. وعلى أية حال فأمرها محسوم، يبدو أنها إما حمقاء ذات كبرياء ضخم، أو حمقاء واقعة في الحب. وكلاهما يشتركا في صفة "حمقاء"، لا يمكنها حتى تحديد أيهما أسوأ.

جلست "آشلي" بلا حراك أمام شاشة التلفزيون الفارغة لعشر أو خمسة عشر دقيقة. ثم سمعت صوت قرقرة معدتها. كان وقت الظهيرة قد حان ولم تتناول لقيمة واحدة، لذا توجهت إلي المطبخ كي تعد ساندويتش، كان المطبخ أبيضًا، مشرقًا ورحيبًا كبقية منزلها. وأثناء عودتها إلى غرفة المعيشة بكوب الشاي وساندويتش الجبن لفت انتباهها انعكاسها في المرآة: امرأة نصف عارية. كانت ترتدي سروال داخلي أبيض وحمالة صدر قطنية رمادية، لم تستطع أبدًا التنسيق بين حمالة صدرها

وسروالها الداخلي وكانت تتعجب من النساء اللاتي ينجحن في ذلك. فـ"زيرين" على سبيل المثال، دائمًا ما ترتدي ملابس داخلية مُطقمة. لديها الآلاف من الأزواج الجذابة، البنفسجي، والأخضر، والوردي، والأزرق. كانت "آشلي" تنسق فقط بين أنواع النسيج، فترتدي القطن مع القطن على سبيل المثال - وأحيانًا تفشل في ذلك أيضًا - تأملت "آشلي" ساقيها الطويلتين الرفيعتين، اللاتي تتمرن من أجل الحفاظ على حالتهما، وشعرت بالرضا، لكنها كذلك شعرت باللامبالاة. لم تكن على دراية بجمالها وبأن العديد من النساء مستعدات للتضحية بأنفسهن من أجل الحصول على جسد كجسدها.

جلست بأريحية على مقعدها وقضمت الساندويتش. تفحصت قدميها المرهقتين الممتدتين على مقعد القدمين، كان أصبع قدمها الثاني أطول قليلًا من الأصبع الكبير. ولكنهم جميعًا متشابهين، كانت تحب تأمل قدميها، ودائمًا ما تقول "نالان":

- إذا تعرضت لحادثة وفقدت كلتا يديكِ، يمكنهم أن يخيطوا قدماكِ بدلًا منهما ولن يلاحظ أحد الفرق.

لكان التحديق في قدمين قبيحتين بعظام بارزة وأظافر لا تنمو بشكل سليم، شيء مزعج حقًا. والآن شعرت "آشلي" بالسعادة.

أشعلت التلفزيون وبدأت تشاهد (The Flintstones) الذي يُعرض على إحدى القنوات. كان ذلك فيلم الكارتون المُفضل لديها منذ الطفولة. وعندما

اندمجت بشكل شبه كلي في الفيلم، رن الهاتف، وكان المتصل "نالان".

سألتها "آشلي" وهي تخفض صوت التلفزيون:

- كيف الحال؟

- جيد.. كيف تسير أمورك؟

- أنا بالمنزل ... أشاهد (The Flintstones)

- اللعنة على "ويلما".. ماذا تفعلين في المنزل بحق الجحيم؟

دائمًا ما تُضحكها "نالان"، والشيق أنها لا تحاول أن تفعل المثل، فـ"نالان" تملك نظرة مختلفة تمامًا للحياة، وما تراه من وجهة نظرها مُسلي جدًا بالنسبة لـ"آشلي".

- دعي "ويلما" لحالها، فهي تقوم بطهي وحيد القرن.

- لماذا أنتِ بالمنزل؟

- تعرضت لحادثة هذا الصباح فأرسلني مديري العزيز إلى المنزل حيث كنت مُحبطة بشدة.

ضحكت "نالان":

- يا له من مدير حنون ... يبدو أنكِ سرقت قلبة.

كانت "نالان" على علاقة برئيسها طوال العامين الماضيين.

- هل تضررت سيارتك بشدة؟

- لا داعي لتذكيري ...

- آوه لا ...

- خمني من قابلت في ورشة التصليح؟

- من؟ لا تحيريني، قولي على الفور.

- "عُمر".

- حقًا!

بعد سكتة طويلة، قالت "نالان" بنبرتها الخاصة بالطوارئ:

- انتظري مكانك.. أنا قادمة.

وضعت "نالان" السماعة قبل أن تتمكن "آشلي" من محاولة إثنائها، فهي لا ترغب في رؤية أحد، كان لديها شعور أن اليوم بأكمله عبارة عن كابوس وخشيت أن يتحول إلى حقيقة إذا بدأت في التحدث عنه. ندمت على إخبار "نالان" بما حدث وتمنت لو أنها تظاهرت بأن شيئًا لم يحدث. على أية حال، هي لن ترى "عُمر" مرة أخرى. لكنها شعرت رغم ذلك بالضيق لأن "زيرين" تتحدث إليه. من الواضح أن "زيرين" أخبرته الكثير عنها، تمتمت:

- تلك الثرثارة! هذه المرأة لم تعرف أبدًا كيف تُبقي فمها مغلقًا.

لم ترد "آشلي" أن يحوم حول حياتها ولو أقل طيف ممكن لـ"عُمر"، ليس لديها فضول عما يفعل أو كيف يعيش حياته. كل ما تريده هو أن يبقى خارج حياتها. أقل ظهور له أو حتى أصغر تبادل للمعلومات عنه كفيل بسلب راحة بالها.

رغم ما يعكسه سلوكها الخارجي من تمني الخير لـ"عُمر" مادام بعيدًا، إلا أنها توقن أن في قرار نفسها ستجد موته أكثر إرضاءًا، ذلك لأن تأقلمها مع موته أفضل من المكافحة وسط هذا الكم من الريبة، فبالإضافة لفشلها في استيعاب ربط الناس بين الحب والتعلق، فهاتان عاطفتان لا قرابة بينهما. حيث يوجد الحب الصادق لا وجود للتعلق أو الشغف، فالحب الشغوف شعاره "كن لي" بينما يرفع الحب الحقيقي شعار "كن سعيدًا". ربما يختلط الحب الأعمى بالرغبة في الارتباط، لكن سبب الهوس هو عمى الإعجاب المُفرِط، ورغم أن هذا العَمى غالبًا ما يكون مؤقتًا، إلا أن الكره الذي يولد في هذه الفترة يمكن أن يصبح دائمًا. يمكنك أن تحب شخصًا لعام واحد ثم تكرهه لأربعين عام. أو بمعنى آخر، فالحب يسبب دمارًا مدى الحياة.

رن جرس الباب بينما ما تزال "آشلي" نصف عارية. قفزت من مكانها وارتدت قميصًا طويلًا ثم فتحت الباب. قالت "نالان" بحسرة بعد نظرة خاطفة:

- لقد تحطمتي!

وذهبا إلى غرفة المعيشة.

كانت "نالان" صغيرة الحجم، ذات انحناءات، يصل شعرها البني الفاتح الجذاب إلى خصرها على شكل أمواج، ملابسها كسلوكها، تضج بالأنوثة، كأنما تنتمي للقرن الماضي. لكن فور استماعك لشتى اللعنات وهي تلوكها في فمها بتلقائية، تدرك أن انطباعك الأول كان مجرد وهم. لا يسهل تحديد إن كان سبب سلوكها تحدى داخلي أم عدم اكتراث. دائمًا ما يصيب "آشلي" الذهول من طريقة "نالان" التلقائية في تفريغ كل شيء، فهي لا تهتم بالنجاح والمدح بقدر عدم اهتمامها بالفضائح أو الخجل، ترتدي مشاعرها كملابسها، بسحر مُطلق واعتزاز نادرًا ما تراه، تتعامل مع أصعب المواقف بحرفية شديدة تُجبرك على الإعجاب بها. علقت "نالان" حقيبة يدها على ذراع المقعد وانتظرت أن تجلس "آشلي".

- إن كنتِ تنوين الاستسلام للانهيار لمجرد مقابلتك هذا الحقير، بعد سنوات يعلم الله عددها، فلسوف أرحل من هنا فورًا، ويمكنك حينها دعوة "زيرين" والبكاء بصحبتها كما تشائين.

تملك "نالان" القدرة على إشعارك بالخجل.

ردت "آشلي" تدافع عن نفسها:

- ليس الوضع كذلك، أنا لست منهارة.

- إذًا ماذا تفعلين بالمنزل في هذه الساعة بعينين منتفختين، وتلك

الملابس وتشاهدين (the Flintstones)؟

- أنا مصدومة قليلًا، ما الضرر من هذا؟

ثبتت "نالان" عينيها البنيتين الداكنتين على "آشلي"، وشملهما الصمت لفترة. تعرف "آشلي" و "نالان" بعضهما منذ الصف الإعدادي لكن صلتهم الوطيدة لم تكن بسبب طول المدة، فمنذ اليوم الأول شعرتا بميل وتفاهم بينهما، وكل ما فعله الزمن هو إضافة المزيد من الذكريات لصداقتهما، تم تحديد الأدوار التي سيلعبانها الآن منذ أعوام عدة، وتدربا عليها مرارًا، لم تسمح لها "نالان" بفقد السيطرة على نفسها أبدًا، ولطالما استمتعت "آشلي" بدعمها المُطمئِن. النقص الوحيد في شخصية "نالان" هو افتقادها للشعور بالشفقة، فهي مليئة بالواقعية، تتقبل كل شيء على حاله ولا تدع شيئًا يشوش على الحقيقة. فكل شيء بالنسبة لها مجرد أحداث فقط، لا مشاعر.

سألتها "آشلي" وهي تأمل في جواب بالرفض:

- أتريدين بعض القهوة؟

فقد كانت تجد مجرد التنفس حينئذ بصعوبة قيادة مكوك فضاء، فما بالك بإعداد القهوة.

- بالتأكيد، سيسعدني تناول فنجانًا.

(فلتتناولي بعض الخراء بدلًا منه) حدثت "آشلي" نفسها بذلك وهي

تنهض، يتوجب عليها للأسف قيادة المكوك.

تبعتها "نالان" إلى المطبخ وجلست بأريحية على البار، تمهيدًا لبدء التحقيق.

- كيف بدا؟

- جيد، بطريقة سيئة. لم يظهر عليه أثر للزمن ولو قليلًا.

- هل تحدثتم؟

أجابت بحدة:

- بالطبع، ماذا كنت لأفعل، أدير رأسي و انظر بعيدًا؟

ثبتت بصرها على الغلاية و هي تفكر بـ"أبولو ١٣".

- حسنًا، هيا أخبرينى بما حدث، لا ترهقينني فى انتظار سماع القصة الكاملة.

- بماذا أخبرك؟ مدير ورشة التصليح صديقه، مر"عُمر" ليتناول كوب من الشاي معه وظهرت أنا في هذه اللحظة. تبادلنا التحية وأوصلني إلى مكتبي، أجرينا حديثًا صغيرًا في الطريق، هذا كل شيء.

صبت "آشلي" الماء المغلي وناولت "نالان" كوبًا.

بعد صمت قليل أضافت "آشلي":

- لكن هناك شيء مزعج، يعرف "عُمر" الكثير عني، علمت أنه تحدث إلى "زيرين"، أتظنين أنهما تقابلا؟

ردت "نالان":

- كلا، فلو رأت "عُمر" في حلم لتحدثت عن الأمر لأسبوع.

كان ذلك مفاجئًا لـ"نالان" قدر مفاجئته لـ"آشلي"، لكن احتفاظ "زيرين" بمثل تلك الأخبار لنفسها شيئا مستحيلًا.

قالت "نالان":

- قومي بدعوتها.

ثم أخذت قهوتها وعادت إلى غرفة المعيشة.

كانت "زيرين" صديقة أخرى من المدرسة، ورغم كونها الأقل جاذبية بين الثلاثة إلا أنها كانت أكثرهن أناقة، لو كان الله ليخلقها على هيئة شجرة لكانت شجرة عيد الميلاد، فقد أحيت منزلها، وملأت مائدتها وطعامها بآلاف التفاصيل، مما أضفي على كل شيء روح احتفالية. إلا أنها تبالغ أحيانًا، فلا تتذكر "آشلي" كم مرة أضطر ضيوف "زيرين" للبحث عن طعامهم بين الديكور المبالغ فيه. حتى أن مبالغة "زيرين" في كل شيء جعلت "نالان" ترجح أكثر من مرة أن "زيرين" تملك عدسة مكبرة في عينيها. كانت تفسر أتفه ما يقوله الناس بطرق معقدة وتنتظر منهم نفس الاهتمام. تهتم كثيرًا بحياة الآخرين حتى أبعد الناس عنها، وتنزعج

لأمور لا تخصها، وغالبًا ما تركز جهدها لكشف الأسرار، لكن الأغرب أنها تجعل من حياتها الشخصية مشاعًا وتشارك أسرارها مع كل من تقابلهم. ورغم تحذيرات "آشلي" و"نالان" فإن "زيرين" كانت دائمًا ما تسبب الفوضى. هل تعلمت من أخطاءها؟ كلا، فالأحجار البراقة والترتر اللامع حُليها، والنميمة زخرف حياتها.

قالت "آشلي":

- انسي الأمر، لا أريد دعوتها الآن، يمكننا أن ندعوها في المساء.

كانت تعرف أن لدى "زيرين" مواهب الثرثارين، ولم ترد منحها وقتًا لحبك قصة جيدة، لكن فضول "آشلي" سيجعل من الصعب الانتظار حتى المساء.

رفعت "نالان" كتفيها باستهجان وقالت:

- أعتقد أن كل شيء واضح.

- ما الواضح؟

- هذا موقف تقليدي لـ"زيرين"... على الأغلب فشلت في غلق فمها عندما تقابلا وأخبرت "عُمر" بكل شيء، ثم خافت بشدة فلم تجرؤ على إخبارنا عن المقابلة.

- على الأغلب.. لكني أفضل التحدث إليها وصب جم غضبي عليها.

قهقهت "نالان"، كانت تعرف أن "زيرين" تصبح بلا حيلة كالجرو الصغير المبلل عند الإمساك بها متلبسة بفعلتها. تخبأ ذيلها بين ساقيها، تركز عينيها المستجديتين على أصدقاءها، وتظل مُغتمة حتى تحصل على علامة رضا أو إشارة رحمة منهم، وبمجرد الحصول على الإشارة المنتظرة تهز ذيلها وتستأنف التزلف. سيتكرر نفس المشهد قريبًا، سوف تصرخان في "زيرين" بعنف وبعد نصف ساعة سيحتضناها.

هذا ما يُطلق عليه حظ الأوغاد!

تمتمت "آشلي" كأنما قرأت عقل "نالان":

- هذة المرة تعدت الحدود واخترقت المنطقة المحظورة لدي.

5

أبريل ١٩٩٥

استيقظت "آشلي" مع أشعة الشمس المشرقة وتغريد العصافير، بمجرد فتح عينيها إعتصر قلبها ألم حاد، "چوليد" لم تعد هنا، والشمس المشرقة والعصافير المُغردة غير مكترثون، تطلعت إلى وجه الرجل الوسيم النائم في سلام إلى جوارها، كان يبدو كمراهق بشعره الغير مُرتب وشفتاه المتموجتان بشكل مثير، أمسكت "آشلي" نفسها عن مداعبة شعره كي لا توقظه، قامت ببطء، كانت السادسة صباحًا ولكن أصوات السيارات المارة على طريق الساحل أخبرتها أن المدينة تستيقظ. ذهبت إلى المطبخ وملأت الغلاية بالماء. ربما يبدو الأمر غريبًا، إلا أنها شعرت أن الغلاية غير مكترثة لاختفاء "چوليد"، كذلك الكرسي حيث كانت تجلس كل صباح والمنضدة حيث اعتادت وضع أزهار جديدة كل يوم.

هذا هو الموت. حين تموت فأن العالم الذي كنت تعطيه كل الأهمية - وقضيت عمرك محاولًا أن تصبح جزء منه - يصيح بصوت يشبه أصوات

أفلام الكارتون:

- مع السلامة، فقد كنت لا شيء.

تكسو الحياة اختفاءك في لحظة، كماء يملأ فراغ، أحيانًا موت من كنت تعير أبسط كلماته أشد الاهتمام، لا يؤثر بك كما هو متوقع، بالنهاية، تأثرت بكلماته ولكن لم تكن جزء من وفاته. في مثل هذه المواقف تقول:

- يا لها من خسارة.

ثم تستكمل حياتك مضيفًا:

- ماذا نتناول على العشاء اليوم؟

اغرورقت عينا "آشلي" بالدموع وهي تعد الشاي، لم تتناول "چوليد" الشاي أبدًا، تم شراء الغلاية عند مجيء "آشلي" للسكن مع "چوليد" هنا منذ أثنى عشر عامًا.

كانت "چوليد" خالة "آشلي"، أصغر شقيقة لأمها، مصدر خجل العائلة، وملكة الفضائح. عندما توفت والدة "آشلي" ولحق بها أبوها بعد عامين، أخذت "چوليد" "آشلي" تحت جناحها، جدا "آشلي"، اللذان كانا يعتبرا "چوليد" خزي للعائلة وامتنعا عن الاتصال بها لأعوام، لم يكونا متحمسان للاعتناء بـ"آشلي" فلم ينطقا بشيء يمنع انتقال "آشلي" للسكن مع "چوليد"، ولم يطمأنا عليها أو يتابعا نموها وتطورها بالشكل المُفترض.

بعد جنازة والد "آشلي"، جاءت "چوليد" إلى منزل الفتاة وجمعت ملابسها في هدوء دون التحدث مع أحد. قبل ذاك اليوم، رأت "آشلي" "چوليد" أربع أو خمس مرات على الأكثر. كانت "آشلي" جالسة على سريرها غير قادرة على رفع عينيها عن خالتها، لم تشبه "چوليد" أي شخص في العائلة بما في ذلك والدة "آشلي" وجدتها، كانت تتحلى بتفردها، إن أمكن لجلست "آشلي" هناك وتأملت "چوليد" لشهور دون أن تمل. كانت أجمل امرأة رأتها "آشلي" في حياتها.

عندما انتهت "چوليد" من جمع مقتنيات "آشلي" جلست إلى جوار الفتاة ووضعت يدها الجميلة على يد "آشلي" الطفولية ذات الأظافر الغير متسقة، ثم سألتها في قلق:

- أنذهب؟

بعد أعوام، اعترفت لـ"آشلي" أنها شعرت بالخوف أيضًا، فكرة بناء حياة جديدة مع طفلة مجروحة في الحادية عشر من عمرها، وتحمل المسؤولية كوالدة، أرهبتها.

حتى هذا اليوم، اعتادت "چوليد" اتخاذ قراراتها الخاصة، ارتكاب أخطاءها الخاصة، وتحمل عواقب أفعالها، لم تكن مهيأة لتكوين عائلة ولا مُعتادة على التضحية. إعداد طفلة للذهاب إلى المدرسة كل صباح، مساعدتها في أداء واجباتها، تجهيز وجباتها والبقاء معها ليلًا، كانت أمور غير معروفة لـ"چوليد"، والأهم أنه لم يكن لديها فضول تجاهها. لو

عرفت أن المسؤولية التي تنتظرها أكبر حتى مما تتوقع لارتعبت أكثر. تركتا منزل "آشلي" يدًا بيد والخوف يعتصر قلبيهما. فـكلاهما مُقدم على حياة جديدة ومجهولة.

فور دخولها منزل "چوليد" شعرت "آشلي" أنها في الجنة، فـ"چوليد" تسكن شقة رحيبة مُطلة على البحر في "إرينكوي"، تتسلل أشعة الشمس من خلال ستائر النوافذ الكبيرة فتكسو غرفة المعيشة وردية اللون ذات الديكور البسيط والتهوية الجيدة. كان منزل "آشلي" مُكدس بأثاث ذي لون بني داكن وحوائط مُحددة بلون البندق مما جعل المكان كئيبًا.

ستستقر "آشلي" في غرفة الضيوف المُطلة على حديقة تملؤها الأشجار المُعمرة، قالت خالتها:

- لا تقلقِ، سوف نُحضر للغرفة ما تتمنيه من أثاث وديكورات.

لأعوام ظلت "آشلي" تشعر بالحسرة عند تذكرها ما شعرت به من فرحة في ذلك اليوم، فالحياة مع "چوليد" ستكون أكثر إمتاعًا من الحياة مع أبيها، الذي أصبح شاحبًا ونحيلًا منذ وفاة أمها. لم يكن منزلهم من الأماكن المُبهجة حتى وأمها على قيد الحياة، لكن على الرغم من كل شيء كان هذا هو بيتها. شعرت الآن وكأنها "آليس في بلاد العجائب"، أستشعر عقلها الطفولي بداية حياة أكثر بهجة فاحتفلت سرًا ثم تساءلت إن كانت شخصًا سيئًا.

مر الكثير من الوقت على وقوع "چوليد" في حب رجل آخر وانفصالها عن زوجها ولكن العائلة أبت نسيان الواقعة، كان زوجها السابق شديد الثراء، يملك

منجمًا، كما كان يحبها بجنون، عند اندلاع الفضيحة توسل إلى "چوليد" ألا تتركه مُصرًا أن بإمكانهما التغاضي عن كل شيء والبدء من جديد، لكن "چوليد" تمسكت بموقفها حتى أن مالك المنجم أعلن لاحقًا أنه لم يتعامل أبدًا مع شخص أكثر عنادًا من "چوليد"، جمعت أغراضها وتركت منزلهما المُبهر المُطل على البحر، وسافرت إلى عشيقها في "لندن"، وأثناء استمتاعها بأفضل أوقات حياتها هناك كان الغضب يشتعل في نفوس عائلتها. ربما كان أمر العلاقة لينتهي ويُنسى لو لم يكن عشيقها رجل متزوج، وصديق مُقرب لزوجها. تحولت إلى فضيحة كبرى وعلمت الصحف بالخبر مما جعله عبئًا لا يُحتمل بالنسبة إلى عائلتها. العجيب في الأمر، أن الشخص الوحيد الذي لم يلعنها أو يستأصلها من حياته هو زوجها السابق. فاستمرت صداقتهم - التي إعتبرها الكثير حماقة مُفرطة - حتى يوم وفاة "چوليد".

أثناء إطلاع "آشلي" على بعض الجرائد القديمة مع "چوليد"، قالت بضحكة طفولية:

- كنتِ مخزية حقًا.

فجاء رد خالتها متفردًا، حيث قالت:

- لمن السهل لامرأة قبيحة أن تكون عفيفة، أما أنا فكنت قليلة الحظ.

لم تعكس نبرتها ولو القليل من الغرور.

عبرت عن الحقيقة فحسب. لم تر "آشلي" خالتها تتأمل طلتها في المرآة قط،

وعلى عكس النساء الجميلات، لم تكن "چوليد" تهتم بمعرفة إن كان الآخرين يتأملونها. لم تلاحظ أبدًا العيون التي تُسلط عليها عند دخولها أي مكان، ونظرات الرغبة أو الغيرة التي توجه إليها. إما أنها اعتادت تلك النظرات أو أنها لم تبالي لثقتها أنهم يتطلعون إليها، لم يرها أحد تتفحص امرأة أو رجل على الإطلاق، وكانت هذه صفة نادرة خاصة لامرأة.

الأمر الآخر الذي قضت "آشلي" الكثير من الوقت محاولة استيعابه، هو كيف يمكن لامرأة فاتنة مثل خالتها، تتميز بعدم الإكتراث لدرجة أنها لا ترمق المنضدة المجاورة بنظرة، أن تجد العاشق تلو الآخر. استمرت علاقة "چوليد" بالرجل الذي تركت زوجها من أجله لأربعة أعوام ثم أرسلته مرة آخري إلى زوجته، على قدر ما أدركته "آشلي" فـ"چوليد" لم تتحسر على إنهاء تلك العلاقة. للعام والنصف الماضيين كان لـ"چوليد" عشيق يصغرها بخمسة عشر عام، رياضي ذو خمس وثلاثون عامًا، متوسط الطول، لا يتحدث كثيرًا، لم يكن وسيم على النحو التقليدي ولكنه جذاب. بالنسبة لـ"آشلي"، التي ترى خالتها في القمة مقارنة بالنساء، كان هذا الرجل إختيار سيء.

انتشلها صوت شاب من ذكرياتها:

- استيقظتِ باكرًا.

التفتت "آشلي" إليه وابتسمت، كان يرتدي سروال داخلي فقط، فداعبت هيئته النصف عارية مشاعر "آشلي" رغم خسارتها. يبدو أن رغباتها

الجسدية لا تكترث لفقدان "چوليد".

قالت "آشلي":

- صباح الخير أيها القنفذ.

أطلقت عليه تلك الكنية حين كان حليق الرأس ثم اعتادتها حتى صارت لا تلجأ لأسمه الحقيقي قط.

- لقد تحركتِ وتقلبتِ كثيرًا في الليل، كان من الأفضل ألا تتركِ السرير مبكرًا.

- لم أدعك تنام في سلام؟

- لا تقلقي، هل أنتِ بخير؟

احتضنها بشدة فأسندت "آشلي" رأسها على كتفه، لم تكن شخصية عاطفية ورغم ذلك فشلت في مقاومة الدموع التي انسابت على خديها.

همس في أذنها:

"رجاءا"، لا تبكين.

زادت هذه الجملة من شدة بكاءها، وتشبثت به. كان هذا الرجل نعمة مُرسلة لها من السماء، ليس لوسامته أو ثراءه - فـ"آشلي" لم تكترث لذلك - ولكن لشعورها في القرب منه بغلاف من الدفء والسلام، وهو شيئًا لم تعتاده. معرفة أن هناك من يحبها بالرغم من ضعفها ونقصها،

تمنحها طمأنينة مميزة. كان يداعبها حول تعقيدات شخصيتها، يتفهم أعمق مخاوفها والأهم أنه يدعها تنسحب إلى ذاتها من حين لآخر. بعد دفن "چوليد" سألها القنفذ:

- أتودين أن أبقى معك الليلة؟

كانت تعلم أنه سؤال بسيط وصريح، فالقنفذ يسأل فقط عما يعنيه، وإجابة "آشلي" لن تولد سؤال جديد أو يساء فهمها.

صفة مُقدرة هي أن تترك للآخر مساحته الخاصة، وكانت "آشلي" دائمًا ممتنة للقنفذ على ذلك. لم يُحاصرها بالأسئلة ولم يحاول إجبارها على الابتسام في حين أن كل ما تريد فعله هو الانطواء، الانسحاب إلى غرفة صغيرة بداخلها وعدم التواصل مع البشر بأي من الأشكال. خلال أيام العزلة تلك، التي يفشل حتى أقرب أصدقائها في استيعابها، يدرك القنفذ جيدًا أن إكتئابها لا يتعلق به فيتركها في سلام دون الشعور بالإهانة أو محاولة كسر العزلة قبل الأوان.

جلس القنفذ على ركبتيه وأحتضن ساق "آشلي"، كان رجل خفيف الظل، سألته "آشلي" مبتسمة:

- ماذا تفعل؟

- أتوسل أليكِ.

- لماذا؟

- لكي تتزوجيني.

هربت الكلمات من "آشلي"، كانا معًا لعامين ولم يذكرا أمر الزواج أبدًا، لم تعرف بما تجيب!

- أنا ...

- لا تجيبي الآن، أعلم أنك مُتحيرة، ولكن عندما تخططين لمستقبلك على الأقل ضعي ذلك كاختيار.

فهمت "آشلي" ما يعنيه ذلك، فبعد وفاة "چوليد" أصبحت وحيدة تمامًا، كما أنه لم يعد لديها المال الكافي لسداد إيجار هذه الشقة الضخمة والاستمرار في حياتها الطبيعية دون مخاوف. كانت "چوليد" تعطي دروسًا في البيانو وكانت مُعلمة ناجحة، فمنحهما ما تربحه من عملها حياة كريمة، وإن لم تكن ثرية. على الأقل لفترة ما، كان والد "آشلي" رجل أعمال ثري، عند وفاته ظهر له جبل من الديون، فخسرت "آشلي" ميراثها. يبدو أن والدها ترك الأمور تخرج عن السيطرة وإرتكب بعض الأخطاء، صارت الأمور مُعقدة لدرجة أن "آشلي" كانت لتواجه حيتان الديون إن كانت أكبر سنًا، أحيانًا يساعدك صغر السن.

توفي جداها وتركا منزلًا في "السعودية" وبعض النقود في البنك، تم بيع المنزل نزولًا على رغبة خال "آشلي" القاطن بـ"الولايات المتحدة"، ووزعت النقود على الورثة. اشترت "آشلي" سيارة "بي أم دابليو 316"بنصيبها، تستخدمها منذ عامين. كانت هي و"چوليد" مستأجرتين للشقة، ورغم أن

الإيجار غير مرتفع لأن "چوليد"- مستأجرة قديمة وصديقة لمالك العقار - إلا أن "آشلي" لن تقدر على سداده بعد الآن.

حين علمت "چوليد" بمرضها، نقلت أموالها بالكامل - حوالي خمسون ألف دولار - إلى حساب "آشلي" البنكي. تم استخدام معظم المبلغ في علاج "چوليد" الذي أستمر لسبعة أشهر. تبقى عشرة آلاف دولار. كانت "آشلي" في عامها الأخير بالجامعة ولكن لسوء الحظ ستضطر لإعادة الفصلين الدراسيين النهائيين. لم تكن طالبة سيئة ولكنها متوسطة. ولأن جدولها الدراسي لا يتيح لها الوقت للحصول على وظيفة جانبية فكل ما تستطيع القيام به هو تدريس اللغة الإنجليزية والألمانية في دروس خاصة - ذلك إن وجدت تلاميذ بالطبع. لم يكن وضعها بالمُطمئن والقنفذ يعلم ذلك.

همست "آشلي":

- أنت تشفق علي، تظن أني مُفلسة ولن أقدر على الاعتناء بنفسي.

غمز لها بخبث وهو ما يزال متعلق بساقها:

- ليس للأمر علاقة بالشفقة، بل أحاول استغلال الفرصة.

6

شعرت "آشلي" بوحدة حقيقية لأول مرة بعد خروج القنفذ، تواجد الناس بشكل دائم أثناء مرض "چوليد" وجنازتها، والآن، بعد أن أدى الجميع واجبهم، هجروا المكان.

في الثالثة والعشرين من عمرها، أصبحت "آشلي" بمفردها تمامًا، غير مسئولة عن أحد.. لإعتبر الآخرون وضعها هذا كحرية تامة، ولكن "آشلي" تحررت يوم أتت إلى هذا المنزل، يدًا في يد مع "چوليد" وهي في الحادية عشر. ما شعرت به من تحرر حينها لم يكن ناتج عن قلة نظام أو اهتمام، فرغم صغر سنها إلا أن "آشلي" سرعان ما اكتشفت السبب الحقيقي: وهو احترام "چوليد" لها. حصلت على مزايا عديدة لم يحصل عليها غيرها من الأطفال: الحق في الغضب أو الانسحاب، ارتداء ما تحب، الثرثرة، عدم شرب اللبن، اللعب بالكرة في الخارج حتى ساعات متأخرة، إحداث الفوضى بغرفتها، رفض الذهاب إلى أي مكان لا تود الذهاب إليه، وألا تهوى كل من تعرف. في الأعوام اللاحقة تحولت تلك الحقوق إلى مزايا أخرى: الحصول على حبيب، قضاء العطلات بمفردها، والتأخر ليلًا. على الصعيد الآخر، كان عليها واجبات مقابل حقوقها، أن تتجنب الكذب في جميع الأحوال - كانت هذه

القاعدة الرئيسية - وأن تعرف "چوليد" مكانها دائمًا.

انتهت هذه الأمور الآن ولم تعد "چوليد" هنا. على "آشلي" أن تخطط لحياتها من جديد. رغم أن الزواج من القنفذ بدا كأكثر الحلول منطقية، إلا أن الحلول المنطقية ليست بالضرورة هي الأفضل. تحب "آشلي" القنفذ وربما تتزوجه في السنوات القادمة، ولكن هذا ليس الوقت المناسب. تريد أن يكون الزواج بناء على رغبة قوية منها لذلك وليس لمجرد الهرب من مشكلاتها. لن يسمح وضعها المادي بالبقاء في هذه الشقة، بسبب الإيجار والمصاريف الشهرية، إلى جانب تكلفة البنزين وعبور البوابات للوصول إلى الطرف الآخر للمدينة حيث جامعتها. سينفذ مالها في أربعة أو خمسة أشهر على الأكثر، مهما حاولت التدبير. إذا تمكنت من استئجار شقة صغيرة ذات إيجار منخفض، مجاورة لجامعتها، وإيجاد بعض التلاميذ، ربما تستطيع تدبر أمورها حتى التخرج. رغم ذلك لم يكن هناك ما يضمن الحصول على وظيفة فور تخرجها، وأي وظيفة تلك التي سوف توفر لها تكاليف السكن بمفردها في شقة مقبولة؟

هناك حل وحيد لتلك المعضلة: أن تبيع سيارتها، ولكنها تكره مجرد الفكرة، فهي تحب تلك السيارة.

دخلت غرفة خالتها، سحبت الستائر وفتحت النوافذ، ملأت نسائم الربيع الغرفة وكستها أشعة الشمس. داعب النسيم شعر "آشلي" وهي تتفحص الخزائن المكتظة بملابس خالتها، استنشقت رائحتها المألوفة، مزيج رقيق بين العطر والقرنفل والخشب. لم تبدو كملابس امرأة متوفاة، كان الأمر غريبًا،

فملابسها تضج بالحياة وتحمل رائحتها المميزة.

بدأت "آشلي" تكوم الملابس فوق السرير في عجالة، كأنها تخشى أن يختفي العطر ويحل محله عطن التخزين. نظمتهم بحذر ووضعتهم في حقائب، ومن بين الكم الهائل من الملابس اختارت وشاحين من الحرير وقفاز وفستانين لنفسها - كانت هذه القطع المُفضلة لخالتها - وقررت إعطاء البقية لـ"أيلا"، فهي صديقة قديمة ومُقربة لـ"چوليد"، كان زوجها يواجه صعوبات في العمل فاعتادت استعارت الملابس من "چوليد" كل حين، ولكنها دائمًا ما تعيدها في حالة ممتازة.

بعد الانتهاء عادت إلى غرفة المعيشة واتصلت بـ"أيلا"، بدا صوت السيدة في الهاتف منهكًا، فقد كان لها نصيب مماثل من الصدمة والحزن في الأيام الماضية.

- "أيلا"، أنا "آشلي"، أيمكنني أن أطلب منكِ معروفًا؟

- أي شيء يا عزيزتي.

- ملابس "چوليد"، هل بإمكانك أخذهم؟

- بكل أمتنان.

ولكنها ترددت، ثم أضافت:

- كانت "چوليد" لتحب ذلك أيضًا، أليس كذلك؟

- بالتأكيد، كما أنني أشك أن يناسبوا "صبيحة".

كانت "صبيحة" زوجة حارس العقار. لم تستطع "آشلي" أو "أيلا" السيطرة على ضحكة صغيرة هربت منهما عندما تخيلا السيدة الضخمة ذات الوجنتين المتوردتين وهي تتصبب عرقًا في أزياء "چوليد" الأنثوية المُلفتة.

- سأكون ممتنة إذا تمكنت من أخذهم اليوم، وأحضري بعض الحقائب إن أمكن فليس لدي ما يكفي.

- حسنًا، سوف أمر عليكِ بعد الظهر، كنت أنوي زيارتك اليوم على أية حال.

رن جرس الباب في هذه اللحظة فودعت "أيلا" سريعًا ووضعت سماعة الهاتف. لا يمكنك الحصول على لحظة هدوء في هذا المنزل! ولكن عند رؤيتها للقنفذ أمام الباب بابتسامته الساحرة، سرت داخليًا. لم تمر ساعتين على رحيله.

- آوه، ماذا تفعل هنا في هذا الوقت من اليوم؟

لم تكن متفاجئة بحق، فقد كانت أكيدة أن القنفذ لن يتركها بمفردها هذه الأيام.

- أردت الاطمئنان عليكِ، سأبقى لخمس دقائق ثم أعود إلى العمل، ولكن بإمكاني البقاء لمدة أطول إن أردت.

-إن خلعت ملابسك فربما أسمح لك بالبقاء لمدة أطول.

أعجبتها النظرة المُتحيرة على وجهه. قرأت ما دار بذهنه، على الأغلب لم يتوقع أن تفكر "آشلي" بممارسة الحب بينما لم يمر أكثر من يوم على دفن خالتها. تساءلت كم من الوقت عليك أن تنتظر قبل ممارسة الحب بعد وفاة شخص عزيز، تُرى ما هي المعادلة؟

قالت "آشلي":

-لا تقلق فـ"جوليد" لا تُصنف ضمن الموتى التقليديين، لن تمانع..

رد القنفذ وهو يومئ في تشكك:

- عائلتك برمتها مختلفة على أية حال.

جلست "آشلي" بأريحية على الأريكة الوردية، وشاهدت القنفذ يفك أزرار قميصه، "يا له من جسد" حدثت نفسها: عضلات مُفصلة دون زيادة، أكتاف عريضة، وظهر أملس ناعم.

قالت بلهجة آمرة:

-والبنطال كذلك.

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يخلع بنطاله وعلق:

- تخيلت أننا لن نتمكن من القيام بذلك لمدة طويلة.

- السروال الداخلي أيضًا.. قف هناك الآن.. أريد مشاهدتك.

- هل أنتِ غير سوية؟

أجابت وهي تتأمل الشاب الجذاب الماثل أمامها:

- كلا، كنت فقط أفكر في عرضك.. إستدر.

بدأ القنفذ يفقد صبره ولكنه رضخ لطلباتها وقال:

- ثم؟

- لا يمكنني الزواج من رجل مطيع مثلك.

ثم تمددت على الأريكة وأضافت:

- ولكني سأقابل عرضك بعرض آخر.

- ما هو؟

- يمكنني العيش معك في منزلك، ولكن دون زواج، على الأقل حتى أنهي دراستي، أي قرابة العام.

نظر إليها من فوق كتفه:

- كنت أظن أن النساء تتقاتل من أجل الزواج مني.

- لا تكن سخيفًا، فليس لديك حتى سروالًا داخليًا.

- حسنًا، أنت محقة.

أقترب القنفذ منها قائلًا:

- إذن سوف تنتقلين إلى منزلي؟

- يمكنني تنظيف المنزل، الطهي، وممارسة الحب الخلاب..

- أعلم أن الوعدين الأولين هم كذبة صريحة.

- ولكن الوعد الثالث صادق.

- بدرجة متوسطة.

- أيها المغفل.

قبلته "آشلي"، كانت تحب ملمس شفتيه، رائحته، رموشه الطويلة، يديه الجافتين النحيلتين، وكيف يوقظ روحها.. كانت تحب ذلك الرجل. أغلقت عينيها وتمنت أن يدوم ما بينهما - أيًا ما كان - للأبد.

7

مرت عشرة أيام بالفعل على وفاة "چوليد"، أعلمت "آشلي" مالك العقار باستعدادها لترك الشقة نهاية ذلك الشهر فمنحها الرجل النبيل أسبوعين إضافيين. أراح قرارها بالانتقال للسكن مع القنفذ أصدقاءها الذين كانوا يحاولون إخفاء قلقهم. كانت "زيرين" الوحيدة التي أخبرتها أنه من الغباء عدم الزواج منه فورًا.

شاهدت "زيرين" صورة لوالدة القنفذ في إحدى المجلات، انبهرت بكم المجوهرات المُلفت في الصورة فظلت تتحدث عنها شهرًا كاملًا، حينها كانت "چوليد" على قيد الحياة، ولا تستطيع السيطرة على فمها كثيرًا، فقالت لـ"زيرين":

- عزيزتي، إن كنت تحبين المجوهرات بهذا القدر، فكل ما عليك تعلمه هو مغازلة الرجال المسنين الحمقى.

غضبت "زيرين" التي أخذت كلمات "چوليد" على محمل الجد، ولكن "چوليد" سرعان ما أطلقت ضحكة من القلب وقالت:

- لا تقلقي، لا يهم من تحبين فسوف يتحول إلى أحمق على أية حال.

ارتاحت "زيرين" لنسخة "چوليد" المختلفة لنظرية التطور، ثم سألت "نالان" "چوليد":

-ولكن إلى ماذا تتحول النساء مع مرور الوقت؟

كانت إجابة "چوليد" مباشرة:

- إلى شياطين.

تدخلت "آشلي" قائلة:

- أن أصير شيطانًا أفضل من أن أصير حمقاء.

نظرت "چوليد" إلى ابنة أختها بابتسامة تحسر وقالت:

- لا تكوني واثقة من ذلك.. فحياة الحمقى أكثر سهولة.

عادت "آشلي" من الجامعة وألقت بكتبها على الفور فوق منضدة الطعام، كانت تحملهم كقضاء للواجب ليس أكثر، ثم أسرعت إلى الحمام.

عادت للجامعة منذ أيام قليلة وأفادها ذلك، لكنها كانت تشعر بالوهن معظم الوقت لقلة النوم ليلًا. سيريحها الحمام الدافئ ثم قيلولة في الغرفة المُرطبة بالنسيم العليل، جففت شعرها بشكل عشوائي وغصت في نوم عميق دون الاكتراث للخصلات المُبتلة.

نبهها طنين جرس الباب المُلح، شعرت وكأنها غفلت للتو، ولكنها فتحت عيناها لترى أن الظلام حل بالخارج، وأن الغرفة صارت أبرد بسبب النوافذ المفتوحة على مصراعيها. تركت سريرها الدافئ مُجبرة وسحبت نفسها إلى الباب.

لم تستطيع تحديد الواقف أمام الباب لأن إضاءة طرقات المبنى كانت مُطفأة، مرت خمس ثوان حتى عرفته.

قالت بحدة:

- إن كنت تبحث عن "چوليد" فأنت تعلم أنها توفت.

كانت خصلة عائلتها الاستيقاظ بمزاج سيء. اعتادت هي و"چوليد" تجنب بعضهم البعض في الصباح كأن إحداهن تحمل عدوى.

تغاضى الرجل عن سخريتها وقال بصوت ضعيف:

-مرحبًا.

كانت رائحة الكحول تنبعث منه، فجأة شعرت "آشلي" بالإشفاق عليه وندمت على تعليقها القاسي.

لم يرد على ذهنها أنه يتألم مثلها. لتنقذ الموقف ابتسمت وفتحت الباب لعشيق خالتها الأخير.

بدا "عُمر" ضخم في الظلام، توجه إلى غرفة المعيشة بخطوات بطيئة. رغم مجيئه لهذه الشقة كثيرًا من قبل إلا أن "آشلي" شعرت كأنه غريب. إعتاد ثلاثتهم - "آشلي" و"چوليد" و"عُمر" - الجلوس والدردشة وحتى تناول الشراب في هذه الغرفة. لكن الآن بعد أن رحلت "چوليد" أصبح وجوده ثقيلا على "آشلي". كان جزءًا من حياة "چوليد" ولكنه لم يختفي معها، مما جعلها تشعر أن خالتها توفيت وتركت جزء منها في الغرفة بالخطأ. تبعته إلى غرفة المعيشة وهي تحاول إخفاء توترها، وتكورت في ركن من الأريكة. انتظرت أن يجلس ولكنه بدلًا من ذلك فعل شيئًا لم تره "آشلي" يفعله من قبل. توجه إلى البيانو الخاص بـ"چوليد" ووقف هناك في ثبات. ثم رفع غطاءه برفق، حملق في أزراره مطولًا كأنما يحاول فك شفرة سرية. شبهته "آشلي" برجل فتح غطاء سيارته ليفحص الموتور. شعرت برغبة عارمة أن تُفصح عن هذا التصور ولكنها عدلت عن الفكرة، اكتفت بمشاهدة زائرها الغير مدعو.

جلس الرجل ببطء أمام البيانو ولمس الأزرار برفق. مُلأ الجو صلاة ووداعة.

أغمضت "آشلي" عينيها في الصمت المتدفق. اشتاقت إلى موسيقى خالتها، عندما ارتأت إلى أذنيها النغمات الأولى ظنت أن عقلها يعبث بها، ولكنها فتحت عيناها وفوجئت لرؤية زائرها يعزف اللحن. "لابد أنني فقدت عقلي" حدثت نفسها.

كيف يمكن لهذا الرجل أن يعزف البيانو؟ هذا الرجل لديه معرض سيارات، أنه تاجر سيارات. إعتاد التحدث عن السيارات والأموال. إن لم يكن هبط عليه وحي مفاجئ - ولم يكن هبوط "تشايكوفسكي" من

السماء مُحتمل - فإن هذا المشهد الذي تشاهده دليل كافي أن "آشلي" فقدت صوابها. كلما استمعت إليه كلما اقتنعت أنه يعرف عزف البيانو وبشكل جيد، هذه الحقيقة لم تريحها بل جعلت جراحها الداخلية تنزف. لم يشغل باله وجود "آشلي" فلم ينظر تجاهها أو يوجه لها كلمة، كان يتوقف عن العزف أحيانًا ويجلس بلا حراك قليلًا قبل أن يستأنف، كان الظلام حالك فبدت قدرته على رؤية أزرار الآلة كمعجزة.

لم تستطع "آشلي" رفع عيناها عنه - لا يهم كون ما تراه يسعدها أو يؤلمها - تحول الليل إلى عرض ظل، كيف يحرك يداه، وكيف يتساقط شعره على جبهته ... كيف تشعر إن أحبك هذا الرجل؟ لم تتحدث "چوليد" معها عن ذلك أبدًا، كانت علاقة "چوليد" به مثل صداقة قوية - إعجاب أكثر منه حب - لم تشهد "آشلي" جدال أو لحظة حماسية لهما. لأول مرة تتساءل بخصوص علاقتهما الليلة.

في النهاية، توقف الرجل عن العزف وأغلق الغطاء برفق مثلما فتحه، وثبت عينيه على "آشلي". أربكتها نظراته رغم الظلام، أدركت وقتها فضولها تجاهه - ماذا يحدث؟ قفزت من مكانها لتشعل الأضواء ثم تسمرت حين سمعت صوته الدافيء:

- لا تفعلي.

سألته بتوتر:

- لماذا؟

ولكنها تراجعت عن إشعال الإضاءة، وقف الرجل وأقترب منها، صارا قريبين حتى كادا يلامسا بعضهم البعض. كان يمكنها الشعور بأنفاسه المُحملة برائحة الكحول وتمييز عينيه اللامعتين رغم الظلام الحالك، أحست كأنها مُمسمرة إلى الأرضية الخشبية، أرادت الابتعاد لكنها لم تقوى. إنه كابوس! حيث تريد الهرب ولكنك تنتظر في يأس. كانت مُثبتة، لقد فُتنت.

كادت تقسم أنها تراه لأول مرة الليلة، شعرت بلهيب تحت قدميها، ورعب. تسابقت دقات قلبها. لماذا بحق الجحيم كانت تقف أمام عشيق خالتها وترتعش كفتاة في السادسة عشر من عمرها؟ لم تره كرجل جذاب من قبل، لم ترى "عُمر" حتى بشكل رجولي من قبل. تشكلت صرخة بداخلها ولكنها لم تقوى على النطق عندما مزق ما ترتديه. سيطر عليها أحساس غير مُعتاد، ومجرد الشعور به كان دليل كاف أن العالم ليس مكان آمن. ليس هذا هو المكان الذي يظن الجميع أنهم يعرفونه ومُعتادوه، هناك أبواب سرية في كل مكان، تؤدي إلى أبعاد أخرى. يتم إغراءك واستدراجك إلى مكائد متعددة إلى أن تخون نفسك. تستعبدك قوى مجهولة فتفعل أشياء أقسمت ألا تفعلها وتقول كلمات كنت على يقين أنك لن تنطق بها. ومصدر هذه القوى داخلك، في بذورك الخاصة. عندما تقترب بشدة من الحدود تكتشف أنها غير موجود. هل تتغير الحدود باستمرار أم أنها أوهام نُصدق في وجودها؟

شعرت "آشلي" وهي عالقة بين الرجل والحائط بوعد بمتعة جسدية غير متوقعة. استسلمت لعاطفة أقوى من الخجل وتمتمت أسمه بلهفة "عُمر..".

8

الصباح والذنب، جمعًا سيئا، في الصباح تتواجه مع خطيئة الليلة الماضية وتحاسب نفسك فيأتي الندم. في الواقع، حتى حين ترتكب حماقة أثناء النهار يحدث الأمر ذاته. لابد وأن تنام تحت ثقل ما ارتكبته حتى تشعر به. قبل أن تفتح عيناك يبدأ ضميرك في اعتصارك فتتمنى لو ما زلت نائمًا، ثم تعانى من الشعور بالذنب وألم الضمير وتأنيبه، باختصار، تستقر أسوأ المشاعر بداخلك الواحد تلو الآخر. وكثيرًا ما يتعدى الأمر احتمالك فتتمنى أن تُفصح عن ذنبك وتعلن ندمك ثم تلجأ للطريق المستقيم.

من حسن الحظ، أن الإنسان يُخلق ولديه قدرة على احتمال نفسه أكثر من الآخرين، لذا لا تستمر المأساة طويلًا، ولكن الشخص الذي دائمًا ما يحاسب نفسه يأخذ في اعتباره الظروف ويحسب أبسط التفاصيل بعناية فائقة، حتى إذا عفي غيره من المثل. تؤخذ كل وسائل التحليل في الاعتبار، علم النفس وعلم الاجتماع، حتى الطفولة يتم تحليلها، إلى أن تجد العُذر المراد ...

كانت السادسة صباحًا، تتقلب في السرير منذ ساعة تقريبًا، رافضة تصديق أن بقايا الليلة الماضية العالقة في ذهنها هي حقيقة، مُجاهدة

لإقناع حالها أنه كان مُجرد حلم. هل مارست الحب مع "عُمر"؟ هيا! وماذا أيضًا؟ لم يدق أحد جرس الباب ولم تستيقظ هي لتفتحه. لم يأتي "عُمر"، كل ذلك مجرد حلم رهيب.

ولكن شيطانها يسألها أسئلة غريبة: إذا كان ذلك حلم فلما هي عارية الآن؟ فهي لا تنام عارية عادة. ولِمَ يؤلمها جسدها كأنما تعرضت للضرب؟ وتؤلمها ساقاها وذراعاها مثلما يحدث عندما تمارس الرياضة بعد أعوام من التوقف؟ الصور التي تطارد ذهنها حقيقية: تلك الصور من الواقع.

تمتمت بحسرة:

- سامحيني يا"چوليد".

وعلمت أن "چوليد" كانت لتسامحها، كانت لتضحك الآن وتقول:

- ماذا كنت أقول لكِ دائمًا؟ كل شيء للناس..

كلما حاولت "آشلي" اتهام شخص ما، كانت "چوليد" دائمًا تقول:

- لا تنسي أنه طالما إستطاع أحدهم القيام بذلك فربما تقومين بالمثل يومًا ما.

بالنسبة لـ"چوليد" يستطيع أي شخص القيام بأي شيء. في اللحظة المناسبة تنطلق القدرة بداخل بعض الأشخاص بينما تظل مُعلقة بداخل آخرين. فمثلاً، قدرة المرأة الحسناء على التصرف بشكل سيء غالبًا ما

تتحرر أسرع من قدرة غيرها من النساء الأقل جمالًا. لم تقتنع "آشلي" بنظرية "چوليد" واعتادت أن تظن أنها تفسر الأمر كما يناسبها.

إشتعل إحساسها بالذنب وشكت أن يكون للقنفذ نفس قوة تحمل خالتها، تُرى كيف ستؤثر تلك الواقعة على علاقتهما؟ أيجب عليها إخباره بشكل مباشر؟ سيؤلمه الأمر بلا شك. ربما يجب ألا تخبره بأي شيء على الإطلاق، يبدو كاختيار غير سيء، رغم عدم المصداقية. اختلاق عذر آخر والانفصال عن القنفذ؟ بدا ذلك كأفضل حل، رغم أنها لا ترغب في الانفصال إلا أن القنفذ يستحق أفضل من امرأة متهورة مثلها. ولكن أليس العالم مليء بالظلم؟

تمنت ألا ترى "عُمر" مرة أخرى، في هذه اللحظة كان على رأس قائمة الأشخاص المكروهين لديها. في الواقع، كان الشخص الوحيد في القائمة. ظهر من الفراغ وقام بتضليلها. هذا هو الأمر: قام "عُمر" بإغوائها، إن لم يكن الأمر كذلك فهو أحمق.. هو كذلك بالفعل. لم يكن في مثل وسامة وجاذبية القنفذ ورغم ذلك مارست الحب معه، إنها لغبية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لا شك أن "عُمر" يظن نفسه رجل شديد الجاذبية الآن. شعرت باختناق، ورغبات عارمة تشتعل في صدرها. لابد أن تكون نصف مُختلة لتخون القنفذ مع تاجر سيارات مغرور. لعنت نفسها.

يجب أن تهدأ. ستتناسى الليلة الماضية، تمتنع عن ارتكاب حماقات أخرى، وتنتقل للسكن مع القنفذ وينتهي الأمر. همس شيطانها "ولكن يا لها من ليلة" وسرت شعلة جديدة في جسدها.

صرخت:

- توقف.

وقامت من سريرها. ولكن شيطانها لم يتوقف وأخبرها أنها لم تمارس الحب أبدًا كما فعلت الليلة الماضية. كان محقًا ولكن ليتها ما اكتشفت أن ممارسة الحب بهذا الشكل ممكنة.

9

عند دخول "آشلي" التفت الرجال جميعًا بشكل تلقائي لتأملها، بعضهم تفحصها لمدة أطول من اللائق، رغم اعتيادها ذلك إلا أنها ارتبكت لأول مرة، ولم تسيطر على خديها الذين توردا خجلًا. لم تزعجها النظرات السريعة ولكنه من غير مناسب أن يدرسوا كل بوصة من جسدها. كرهت ذلك وتخيلت نفسها تقول لأحدهم، ربما لذلك الرجل السمين:

- فيما تحدق بحق الجحيم؟

يتكون رواد المكان من المدعوين "علية القوم" في "إسطنبول": رجال بدناء، أثرياء، في منتصف العمر وسيدات أصغر سنًا بكميات مبالغ بها من مساحيق التجميل على وجوههن. ظهر على بعض المناضد فارق ضخم في العمر بين المرأة والرجل الجالس معها. على الأغلب فهن الزوجات الثانيات، يبدو أنهن يظنن أن جلودهن سوف تتثنى إن ارتدوا ملابس غير مُصنعة على يد مُصمم مشهور. مخلوقات مسكينة! سوف يقضين المتبقي من العمر مع الأصدقاء المسنين لأزواجهن المسنين. بينما تقضى النساء في مثل أعمارهن المساء في الحفلات سيقضينه أمام التلفزيون بجوار أزواجهن الذين غالبًا ما

سينامون في الكراسي المُريحة وأفواههم مفتوحة. تستمتع هذه النساء بمجوهراتهن، ولكن المجوهرات لا تبرق في الظلام. وتجري إحدى المجلات حوار مع أحداهن فتتحدث عن تفاهات ثم تكذب قائلة:

- إن لزوجي روحًا شابة حتى أنني أشعر وأنا معه بأني أكبره سنًا.

في حين تتناول من في مثل سنهن كؤوس "التكيلا" الواحد تلو الأخر، يضطررن هن لشرب كأس نبيذ حسب التقاليد. وتداعب أجسادهن الصبية أيد مسنة ذات تجاعيد - تشبه أيدي جدودهن - وحتى ذلك نادر الحدوث.

أدركت "آشلي" أن مزاجها سيء اليوم، كل شيء يزعجها، لم تكن عادة بهذه القسوة تجاه الآخرين، ولم تعتاد الاهتمام بحياة الآخرين الخاصة. فجأة قارنت نفسها بـ"نالان"، هكذا تعامل "نالان" الآخرين.

وجدت نفسها تفكر في "چوليد" و"عُمر"، كان بينهم فارق خمسة عشر عام، وكانت "چوليد" في الخمسينات، بالإضافة إلى أنه من غير المعتاد أن تكون المرأة أكبر من الرجل. ولكن هذه هي "چوليد"، لم تشمل خططها الزواج من "عُمر" أو العيش معه في سعادة أبدية. كانت تستمتع بكونها امرأة جميلة وجذابة فحسب. و"عُمر"، (عليه اللعنة) هكذا فكرت به، ذا حظ سعيد لدرجة أن يقابل أكثر امرأة خلابة يمكن أن يقابلها رجل.

إن استطاعت "آشلي" التفكير بكل تلك المزايا لعلاقة "چوليد" و"عُمر"، فلماذا تلوم على الموجودين هنا؟ من المؤكد أن لهم أسبابهم المنطقية. بجانب ذلك، ألا يعنى اتخاذ قرار ما التخلي عن احتمالات أخرى؟ من يجرأ على

الاعتراض إن كان قرار تلك النسوة في صالح المال أو الاستقرار؟ أو ربما يحببن أزواجهن "أنظري إلى نفسك" حدثت "آشلي" نفسها "على الأقل لا يذهبن إلي الفراش مع عشيق خالتهن الراحلة!".

وجدت القنفذ عند طرف البار، قال لها:

- تبدين جميلة، كاد الرجال يلوون أعناقهم محاولين النظر إليكِ.

- حمقى.

- ماذا يمكنهم أن يفعلوا غير النظر إليكِ؟

كان في مزاج جيد. عندما أحاطها بذراعه وقبل رقبتها ارتعشت. تمنت أن يكونا بالمنزل الآن وتقضي الليلة في حضنه الدافئ، حيث تستنشق رائحته الساحرة.. ستحب أن تعترف له بكل شيء وتتوسل إليه أن يسامحها. فجأة، شعرت أنها مُستفزة.

- هل ستلاحق السيدات الأصغر سنًا مثلهم عندما تشيب؟

- لماذا تقولين ذلك الآن؟

- انظر حولك. المكان ممتلئ بهم. نساء صغيرات مع كهول. أتساءل إن كنت ستصبح مثلهم يومًا ما؟

كانت "آشلي" محتقنة.

- بالطبع سأصبح مثلهم. ماذا تودين أن تشربي؟

- أنت مغفل. أريد "مارتيني".

بدا القنفذ غير مستوعب:

- لما يبدو الأمر خاطئ للدرجة؟

- لا شيء...أنه فقط...إذًا سوف تلاحق الصغيرات مثلهم.

أدركت أنها تبالغ وشعر جزء منها بالخجل، بينما بدا القنفذ مستمتعًا بتأمل وجهها الغاضب.

- إذا تزوجتِ مني أعدك أنني لن ألاحق النساء الصغيرات.

- لا تقل ترهات.

- لا أقول ترهات.

- بل تفعل.

تعجبت "آشلي" من نفسها. لم تكن تشعر بالغيرة، فقط تحاول اختلاق عراك بلا سبب. بلا خجل.. كأنما ليست هي التي ذهبت إلى الفراش مع رجل آخر الليلة الماضية. هزت هذه العلاقة العابرة كيانها حتى أنها خسرت كلتا ثقتها في نفسها وثقتها في العالم برمته. تمنت أن شيئًا لم يتغير، أن تعود إليها ثقتها في نفسها وفي العالم من حولها مجددًا.

همست:

- فلنذهب إلى المنزل.

- ماذا؟

- فقط فلنذهب.

- لكن لماذا؟

أجابت وعيناها تلمع بالدموع.

- هكذا.. أريد أن أحتضنك.

-ألن نتناول شيئًا؟

ولكنه أبتلع شرابه ثم قال:

- يمكننا الذهاب وقتما تشائين.

قالت وهي تمسك بحقيبتها وتترك مقعدها:

- أنت ملاك.

- بل أنتِ الملاك الحقيقي.

قالها القنفذ دون أن يرفع عينيه عنها. ثم تساءل:

- ولكن إلى أي منزل سنذهب؟

- منزلي.

سددا الحساب وأسرعا إلى الخارج. كانت ليلة باردة ولكن هادئة. دل النسيم الرقيق على اقتراب فصل الصيف. أمتزج صوت الرياح بأصوات أوراق الشجر تحت ضوء القمر الخافت. بينما ينتظر كل منهما سيارته احتضنت "آشلي" حبيبها واعتذرت له داخليًا. "سامحني، لن أرتكب حماقة مماثلة مرة أخرى".

وصلت "آشلي" قبل قنفذها، وبينما تُغلق سيارتها كادت تُصاب بأزمة قلبية عندما سمعت صوت غير متوقع:

- مرحبًا.

التفتت "آشلي" في ذعر وكادت تصطدم بـ"نالان".

- هل فقدتِ عقلكِ؟ لقد أفزعتينني.

لم تبالي "نالان" بغضب "آشلي" وسألتها:

- من أين عائدة في هذه الساعة المتأخرة؟

- خرجت مع القنفذ لتناول العشاء. ولكن ماذا تفعلين في الجراج الخاص بي الآن؟

- وصلت للتو. ظننتك بالبيت. كنت سأرحل عندما لم أجدك، ها قد آتى أيضًا..

وقعت عليهم أضواء سيارة القنفذ مثل كشافات الشرطة. سألتها "نالان" وهي تحمي عينيها من الضوء:

- هل أبقى أم أذهب؟

- أبقي.. أبقي.

توجها إلى القنفذ الذي كان يترجل من سيارته. حيا "نالان" وقبل وجنتيها:

- هل بدأت العمل كمسئولة جراج؟

- ليس هذا من شأنك.

ثم احتضنته وقالت:

- أحب الجراجات كثيرًا.

بمجرد دخولهم المنزل، صرخت "آشلي":

- من يريد بيتزا؟

ودون انتظار رد جرت إلى الهاتف لتطلب الطعام.

علقت "نالان" متفاجئة:

- ظننتكما خرجتما لتناول العشاء!

ردت "آشلي" وهي تضغط على زر المُجيب الآلي الذي كان يومض:

- أنها قصة طويلة.

كان لديها رسالتان. الأولى من "أيلا" التي شكرت "آشلي" على الملابس، أما الثانية فجعلت "آشلي" تحبس أنفاسها. كان صوت "عُمر" يقول:

- مرحبًا. أعتقد علينا التحدث بشأن الليلة الماضية. أرجو أن تقومين بالاتصال بي، هذا هو رقمي ...."

كان يجب أن تقول شيئًا ولكنها ظلت هناك إلى جوار الهاتف ثابتة، ماذا يمكنها أن تقول؟ أحمرت وجنتاها، وشعرت فجأة بحرارة في أذنيها. لم تقدر على الالتفات ولكنها قالت بهدوء بقدر الإمكان:

- هل أطلب بيتزا كبيرة؟

بدت "نالان" متفاجئة وهي تجيب:

- لست جائعة، تناولت ما يكفي في المنزل.

سألها القنفذ:

- من كان هذا؟

- "عُمر"..

- ماذا حدث الليلة الماضية؟

- لقد مر علي.

- ثم؟

- كان سكرانًا وتحدث بطريقة سيئة عن "چوليد" فتعاركنا.

قاطعتها "نالان":

- لابد أنه بائس أيضًا.

نظرت "آشلي" إلى صديقتها، بدت غير مُقتنعة، على عكس القنفذ. طلبت البيتزا، ذهبت إلى المطبخ وعادت بزجاجات بيرة باردة.

وجد القنفذ مخزنًا لأثاث هذه الشقة، سوف تجمع "آشلي" أشياءها في الصباح، لا يمكنها اصطحاب أكثر من بضع لوحات إلى شقة القنفذ متوسطة الحجم. سيُنقل البيانو واللوحات الأخرى إلى منزل "أيلا" حتى تسمح الظروف لـ"آشلي" باستعادتهم. بينما جلس ثلاثتهم يثرثرون، لاحظت "آشلي" أن أفكارها كثيرًا ما تجنح تجاه "عُمر".

10

هل يجب أن تتصل به؟ عندما تجتاز الحدود مرة ويظل لديك الرغبة لاجتيازها مجددًا فأعلم أنك هالك لا محالة.

علمت "آشلي"، التي كانت تأخذ الشقة ذهابًا وإيابًا الآن، أنها اتخذت قرارًا بالفعل. يا لغرابة الإنسان! فرغم ما لديها من مشكلات وصعوبات، ها هي على وشك افتعال أزمة جديدة عن عمد. لم تكن أبدًا من مدمني المخاطر، ومع ذلك فكل ما تريده الآن هو الاتصال بـ"عُمر"، لم؟ لا تعلم. ربما تبحث عن المشاكل بالفعل.

ارتعشت يداها وهي تطلب رقمه، تحدثت معه فوق الخمسين مرة من قبل، ولكن هذه المرة مختلفة. عندما رن هاتفه صعقها الخوف فوضعت السماعة وابتعدت عن الهاتف. ماذا يمكنها أن تقول في هذا الموقف الذي لا تُحسد عليه؟ هل تضحك وتخبره كم كان وقتًا رائعًا الذي قضياه معًا؟ أم تطلب منه أن ينسى الأمر كأنما لم يحدث؟ وبما سيجيب؟ لم تعرف حتى ما الذي ترغب في سماعه.

جلست وحاولت التفكير بهدوء ولكن الأمر خارج سيطرتها. في النهاية،

قررت الاتصال به وترك الأمور تأخذ مجراها. رن هاتفه مرتين وحين أوشكت على التراجع، أجاب.

توقعت المُجيب الآلي ولكنه أجاب بشخصه، يا له من حظ!

- مرحبًا، أنا "آشلي".

أرادت التوضيح تجنبًا للإحراج إن لم يميز صوتها، لا تحب المجازفة في مثل تلك المواقف. "ماذا تفعل إذا سأل " "آشلي" من؟".

- مرحبًا، كيف حالك؟

تقنيًا، انتهت المكالمة بالنسبة لـ"آشلي" بعد أن أجابت:

- بخير.. أنا بخير.

فلم يكن لديها أدنى فكرة كيف يمكن أن تستمر. قال "عُمر" بعد ثوان:

- من الجيد أنكِ اتصلت، أعلم أنك تمرين بأوقات عصيبة بالفعل فأردت الإعتذار على تشتيت ذهنك.

ليست تلك هي الكلمات التي انتظرتها "آشلي"، شعرت بالخجل من انفعالها. إتضح أن ذلك الرجل أكثر عقلانية منها، أدرك أن ما قاما به كان مجرد سخافة وها هو يخبرها بلطف أنه يجب دفن الأمر في الماضي، ولكن لماذا طلب منها الاتصال؟ كان بإمكانهما نسيان علاقتهما العابرة دون

التحدث أو الالتقاء مجددًا.

أشتعل غضبها، يا له من أحمق! ولكنها شعرت بالراحة، فلو تُرك الأمر لها لأحدثت فوضى لا تستطيع السيطرة عليها.

أكمل "عُمر":

- هناك شيء آخر، لدي بعض كتب "چوليد"، أيمكنني المرور الليلة لأعادتهم؟

استخدمت أقل نبراتها اكتراثا:

- بالتأكيد.

لا تريد أن يشعر بغضبها، لابد أن تحافظ على كبرياءك لتعيش مرفوع الرأس.

- حسنًا. هل من المناسب أن أمر في حوالي الثامنة؟

- نعم، لا يهم على أية حال إن لم تجدني يمكنك تركهم مع حارس العقار.

وصل "عُمر" قبل الثامنة مساء بقليل، ارتدت "آشلي" طاقم رياضي قديم، تملكه منذ الصغر. يجب أن تُظهر له عدم اكتراثها. وقف "عُمر" أمام الباب في بذلة داكنة أنيقة، ومعه ثلاث كتب.

قالت "آشلي":

- تفضل.

وتركت الباب مفتوحًا وهي تسبقه إلى غرفة المعيشة.

- سأعد القهوة.

كانت مهتمة بإظهار اللامبالاة. أضطرب قلبها عند سماع خطواته تتبعها، ندمت على عدم التخلص منه سريعًا.

قال "عُمر" ساخرًا:

- تبدين أنيقة الليلة.

- آوه سامحني. يا له من أمر محزن أنني لم أُبهرك. وكأنه همي الوحيد.

ضحك "عُمر" وهو يضع الكتب على المنضدة. استرقت "آشلي" نظرة سريعة: إثنين باللغة الإنجليزية وكتاب باللغة الألمانية. أمر مفاجئ!

"أناس من دبلن" لـ"جيمس جويس"

"ڤاثيك" لـ "ويليام بيكفورد"

"العاشقات" لـ"إلفريدة يلينيك"

لم تقرأ أي منهم. لم تحب قراءة الكتب بلغات أجنبية.

حتى إن أرادت فلغتها الإنجليزية لم تكن جيدة كفاية لتقرأ "چويس". علقت قائلة:

- يبدو أن لغتك الإنجليزية ليست بالسيئة.

- بالفعل.

جلس "عُمر" بأريحية على الأريكة وأكمل:

- ماذا حدث للمكان؟ هناك أثاث أقل ...

- سوف أنتقل.

-إلى أين؟

- إلى منزل القنفذ.

- حقًا؟

- ماذا الآن؟

- ظننتك تريدين إعداد القهوة؟

- غيرت رأيي.

وقف "عُمر" وأقترب منها، سحب القلم الذي استخدمته لجمع شعرها الأشقر الطويل، وداعب الخصلات التي سقطت على كتفها. أرادت "آشلي"

قول شيئًا، أي شيء ولكن صوتها تخلى عنها.

- هل تظنين هذه المنضدة قوية كفاية؟

مرر يديه من خلال شعرها وأمسكه بإحكام، ثم ألقى بها على المنضدة. كان صرير المنضدة يرن في أذنها وهي تشعر بالمتعة والغضب معًا: الحياة مُروعة جدًا وممتعة جدًا في آنٍ واحد.

ظنت "آشلي" أنه سيرحل ولكنه لم يفعل، طبع قبلات صغيرة مُبللة بالدموع على عنقها وخديها، ثم قال:

- إني جائع.

دفعته "آشلي" بكوعها وبدأت تحتج بأعلى صوت:

- لا تعاملني وكأن شيئًا لم يحدث، حسنًا؟ أنت جائع؟ فلتأكل خراءًا، ما مشكلتك؟ هل أنت مختل؟ أتركني.

- إذا كان التظاهر بأنني أجبرتك على ذلك يريحك فلتستمري في التظاهر، ولكنك تعلمين جيدًا أنني لم أجبرك.

- إبتعد عني.

- كلا، أحب نقر عنقك، ودعيني أخبرك شيئًا، من الصعب الحصول على علاقة حميمة جيدة، فقومي باستغلالها الآن ثم أذهبي وأكملي حياتك

بسعادة مع ذلك المتأنق.

- علاقتنا الحميمة رائعة...

- إذًا دعيني أسألك ماذا تفعلين معي على هذه المنضدة؟

- أخرس ودعني.

أبتعد "عُمر"، عدلت "آشلي" هندامها ببطء وأشعل هو سيجارة بينما يشاهدها. أستفزها هدوءه، تحيطه أيلا الرجل الواثق، الذي يحصل على ما يريد وقتما يريد. أرادت وضع حد لسلوكه المُدعي ولكنها لم تكن مستعدة بعد أن تطلب منه الرحيل. لم يكن لديها الشجاعة الكافية لتبقى بمفردها الآن.

دون النطق بكلمة واحدة، ذهبت لتأخذ حمام، عند الانتهاء توجهت إلى غرفتها واستلقت على السرير، عارية، علمت أنه سيتبعها وكذلك فعل. بدأ في خلع ملابسه وإلقاءها على مقعد، اعتدلت "آشلي" وشاهدته، ولكن تفادت التقاء الأعين. استلقى "عُمر" إلى جوارها وقبلها بشغف. كان الليل في أوله، يكفي ليقيدا بعضهما في ضمات قوية، ليجرفهما الحماس، ليحبا، ليكرها، ليشعرا بالخزي، ليخافا، ليجدا السلام، ليُستهلكا، ليولدا من جديد. ولكن الليل كان قصيرًا كذلك، لشيء لم يستطيعا تسميته تلك الليلة: الحب ....

في الصباح كان "عُمر" يحتضنها ورأسه مدفون بين شعرها المتناثر، ظلت "آشلي" مستلقية في صمت لدقائق عدة، تخشى إيقاظه. اليوم، سوف تنفصل عن القنفذ، أخذت الأمور مجرى لا عقلاني، لا يمكنها العودة

للقنفذ حتى لو خرج "عُمر" من حياتها. ليس بإمكانها العودة لحياتها القديمة كأن شيئًا لم يكن

بدأ "عُمر" يحرك رأسه فظنت "آشلي" أن هذا الشعور على الأرجح هو السعادة الكاملة: ألا تتمنى التواجد في أي مكان غير ذلك الذي هي فيه الآن..

قال "عُمر":

- يجب أن أذهب.

أوحت نبرته باستعداده لتغيير رأيه بيسر.

لم تعرف بما تجيب، فسألته:

- كم الساعة؟

لن تتعجب إن قال السادسة صباحًا أو منتصف النهار، فقدت إحساسها بالوقت وقدرتها على التخمين.

أجابها وهو يقوم من السرير:

- السابعة والربع.

فتظاهرت بالعودة للنوم قائلة:

- وداعًا.

وحاولت إخفاء شعورها بالجرح. دندن نغمة سعيدة بينما يرتدي ملابسه، ربت على رأسها سريعًا، مثل الأطفال. ثم قال وداعًا ورحل، دون توضيح إن كان سيتصل.

فلتنصرف! أعجبها وقع الكلمة. علامة جنون؟ ربما، ولكنها تشعر بحالة رائعة هذا الصباح.

بعد دقائق قليلة، دق جرس الباب. تسارعت دقات قلبها، لقد عاد! انتظرت عشر ثوان ثم قامت. هل يجب أن تظهر له سعادتها بعودته؟

فجأة أصابها شيء بعنف على وجهها فسقطت على الأرض. سال دم دافئ من أنفها ومنعها الألم الحاد من فتح عينيها. إتضح أن ما يتردد عن رؤية النجوم حقيقي، حاولت القيام ولكن قام أحد بالإمساك بشعرها وإلقاءها على رخام أرضية الردهة ثم بدأ يركلها بعنف. ظنت في البداية أنه يتم الاعتداء عليها بواسطة أحد غرباء الأطوار.

لابد أن ذلك الأحمق "عُمر" ترك مدخل المبنى مفتوحًا فدخل هذا المُعتدي بسهولة. أصابت الركلات ظهرها، معدتها ورأسها. كورت نفسها وانكمشت وانتظرت أن تتوقف. لاحقًا، عندما كانت تُسأل لِمَ لم تصرخ، كانت تجيب أنه لم يخطر ببالها.

بدأت الركلات تتناقص ببطء، وسمعت صوته:

- حقيرة.. حقيرة.. عليك اللعنة.

كان صوت القنفذ.

حاولت فتح عينيها، مذعورة، قابلت عينيه المُحمرتين. لم ترى الكره والإحتقار بذلك الوضوح من قبل. نطقت كل عضلة في وجهه بكرهه لـ"آشلي".

ردد بعض الكلمات ولكنها لم تستطع تمييز شيئًا غير "المُجيب الآلي" وأنه كان ينتظر في سيارته أمام المبنى.

كان القنفذ يتألم بلا شك، تعلم أيضًا أنه خطأها، ولكنها على غير المتوقع، لم تشعر بالذنب، على الإطلاق. "إسمعني.. إن أذنبت، فقد دفعت الثمن" تردد ذلك في ذهنها ولكنها لم تقوي على النطق به.

مر وقت طويل قبل أن يقول:

- قولي شيئًا.

فتمتمت وهي مُلقاة على الأرض في بركة الدم الصغيرة المنسابة من أنفها:

- فلتذهب إلى الجحيم.

11

استيقظت فوجدت نفسها مستلقية على الأريكة في غرفة المعيشة، كان أول وجه تراه هو وجه "صبيحة" المتصبب عرقًا. كان الخوف والقلق باديان عليها وخداها شديدي الاحمرار. تمسك خرقة مُلطخة بالدم.

- مسكينة يا صغيرتي! هل فعل بكِ هذا الرجل ذلك؟ عليه اللعنة، لم يبدو عليه ذلك مطلقًا، من يراه كان ليقول أنه رجل نبيل.

ثم نادت زوجها، حارس العقار:

- "سيف". عليك اللعنة أين أنت؟ ألم تجد الطبيب بعد؟ ينامون كالموتى، إضغط على جرس الباب بحق الجحيم.

أرسلت "صبيحة" زوجها لُيحضر السيد "زوران" القاطن بالطابق السفلي. رغم أن "زوران" مجرد طبيب تخدير إلا أن ساكني العقار جميعًا لا يتخذوا أي أجراء يخص أي حالة مرضية، من ضعف النظر وحتى السرطان، إلا بعد استشارته. على المسكين ترك سريره الدافئ الآن ليضمد جراح جارته الشابة.

تعلم "آشلي" أنه لن يمانع، كان أحد معجبين "چوليد". على الأغلب يتساءل لماذا وقع فريسة لامرأة خبيثة كـ"فريحة" رغم وجود نساء كـ"چوليد" في هذا العالم؟ لزوجته "فريحة" قدرة نادرة على افتعال عراك مع كل من تقابل - من حارس العقار إلى سائق التاكسي وجيرانها بالعقار - لم يكن الأمر بيدها، فعلى الأغلب كانت تلك طريقتها في التواصل مع الآخرين. دون إدراك تُلقي بتعليقات حادة، مُعتقدة أن الجميع يتآمرون لإزعاجها. ولأنها لا تستطيع تقبل النكات فكانت تجعل كل من يحاول المزاح معها، يندم على يوم ولد. عندما تغضب على شخص تصبح حياته جحيم. لا تنسى غضبها على الأشخاص وإن نست سببه. كانت شخصية "فريحة" النافرة متناقضة كلية مع شخصية "زوران" الودودة خفيفة الظل. إن رأيت ابنتهم ستقسم أنها ثمرة زواج عائلي، لم ترث خصلة من أبيها بل أخذت أرداف أمها الكبيرة علاوة على ذلك كان لها ساقين متقوستين ووجه خشبي. لديها أيضًا أقصر ذراعين يمكن أن تراهما على إنسان - تبدو كأن ذراعيها متصلتين بقميصها - لم تكن مُعاقة، فجسدها سليم، رغم أنه يمنحك انطباع مختلف.

أصرت "فريحة" أن تلتحق أبنتها - وهي صغيرة - بدروس بيانو مع "چوليد"، قالت لـ"چوليد":

- لدى ابنتي أصابع طولية، من المؤكد أنها ستتمكن من عزف البيانو بشكل مذهل.

وحيث أنه من المستحيل إخبار أم أن لأبنتها أصابع طويلة وذراعين قصيرين، اضطرت "چوليد" أن تنفذ طلبها. كانت تلك الدروس هزلية. لم

تستطع المسكينة الوصول إلى الأزرار البعيدة لذا كانت تسحب جسدها من طرف إلى آخر. انتهت الدروس وموهبة الفتاة لم تتطور ولو قليلًا، وإن كان خصرها صار أنحف. أخبرت "فريحة" الجميع أن "چوليد" مُعلمة ضعيفة المستوى، ولكن "چوليد" تعاملت مع الأمر كمزحة.

تنفست "آشلي" الصعداء عند وصول السيد "زوران"، في پيچامته وحقيبته، يتبعه "سيف". مجرد وجوده طمأنها، حتى شعرت برغبة في احتضانه. تحركت "صبيحة" لتُفسح له المكان.

بدا قلقًا:

- عزيزتي "آشلي"، أسف على التأخير. كيف تشعرين؟

- تؤلمني أنفي بشدة يا عمي.. بل جسدي كله.

تدخل "سيف":

- وجدناها فاقدة الوعي في الطرقة.

- حسنًا يا"سيف" لِمَ لا تخرج حتى أستطيع فحص "آشلي" بسهولة؟

فحص السيد "زوران" كل بوصة في جسدها بعناية ولطف دون السؤال عن سبب حالتها. ثم قال:

- سنذهب إلى المستشفى حالًا، من الضروري إجراء آشعة، لنطمئن، وهناك

قطع عميق في عظمة الخد لابد أن يُخيط.. ولنأمل أن أنفك لم يُكسر.

إلتفت إلى "صبيحة":

- "صبيحة"، اطلبي من "سيف" مساعدة "آشلي" في النزول، سأرتدي ملابسي لنذهب إلى المستشفى.

ساعدها "سيف" - المنزعج من الموقف برمته - على النهوض والتوجه إلى الدرجات، بينما تتمتم "صبيحة" بلا توقف:

- مسكينة يا صغيرتي، فلينتقم الله من ذلك الظالم.

أذهل "آشلي" أن ما يشغل بالها الآن، رغم الوضع العصيب، هو "عُمر"، لم تكن تفكر في خسارة القنفذ إلى الأبد أو إلى أين ستنتقل! لم تفكر سوى به. "أصبحت مثيرة للشفقة" حدثت نفسها.

إذًا، فهكذا يدمر الناس حيواتهم، يدخل شخصًا ما إلى حياتك، فيفقد كل ما كنت تعتبره ضروري وأساسي قيمته. عائلتك، أصدقاءك، أطفالك - بالإضافة إلى أسلوب حياتك وخططك المستقبلية، يفقد كل شيء معناه. تعيد بناء حياتك حول ذلك الشخص، يمثل هو أو هي عالمك برمته. هكذا هو الإنسان: يمكنه المجازفة بكل شيء سعيًا وراء "المجهول" و"الجديد"، والأسوأ أنه لا يبالي بالقلوب التي يُحطمها والماضي الذي يحوله إلى رماد. تأتي نزوات الحب كالفيضان، يجرف كل ما يمر به. ولكن أيامها معدودة، سيحين الوقت حيث لا ترتجف عند التفكير بـ"عُمر"، مثل ما حدث مع القنفذ. جعلها ذلك تشعر بالقوة والحساسية في آنٍ واحد.

ساورها شعور المحاربين أثناء نزول الدرجات. يشبه الوقوع في حب احدهم شن حملة هجوم، لا تنتهي إلا بأسر روحه واحتلال جميع قلاعه. بعد أن تطمئن على استحواذك لمشاعره وجميع خزائنه، تبدأ حملة جديدة.

ورغم عدم إدراكك للاستعدادات إلا أنك لا تستطيع التراجع بعد رؤية إشارة بدء الهجوم.

لكلٍ أسلوبه في حملات الهجوم، البعض يحب ضم أراضي جديدة دون خسارة ما يملك بالفعل، كمن يؤسس إمبراطورية. أما البعض الآخر فيفضل أن ينفض عن نفسه الأحمال القديمة قبل الانتقال إلى أرض جديدة.

أدارت "آشلي" وجهها تجاه "صبيحة" تجنبا لرائحة "سيف"، تحركوا جميعًا نحو سيارة السيد "زوران" الذي نزل الدرجات مسرعًا ليلحق بهم.

قبل التحرك قال السيد "زوران" لـ"صبيحة":

- فلتعودي إلى شقة "آشلي" ربما يتصل أحد فلا يجدها، لا نريد أن نثير الذعر.

تحمست للمهمة التي سرعان ما إتضح أنها كانت فكرة سيئة، فـ"صبيحة" قررت أن تكون امرأة إيجابية وبدلًا من انتظار استقبال المكالمات قامت بالاتصال بـ"أيلا" وأخبرتها بكل شيء فتسببت في امتلاء المستشفى بجمع من الأصدقاء القلقين. يبدو أن "صبيحة" استغلت قدراتها الخاصة في فن المبالغة لأن الجميع كانوا متوقعين الأسوأ حتى رأوا "آشلي".

تمت خياطة جرح عظمة الخد بستة غرز، وأصر الأطباء أن تقضي الليلة في المستشفى من باب الاحتياط. لم يكن أنفها مكسور وإن كانت أصابته شديدة، تحولت كدماتها إلى اللون الأزرق، كانت "آشلي" تتألم.

وصلت "أيلا" أولًا، باكية. فضغطت "آشلي" على نفسها لتطمئنها قائلة:

- لا تقلقي، أنا بخير.

- الحمد لله أنكِ بخير، كدت أجن عندما اتصلت "صبيحة" بي.

- هل اتصلت بكِ؟

- أجل، قالتِ " النجدة، لقد مزق ذلك الفتى ضلوع "آشلي" الواحد تلو الآخر"، هرعت إلى هنا وأنا لا أعرف ما سأجد. ماذا حدث يا عزيزتي؟ ولماذا؟

لم تعرف "آشلي" بما تجيب. فـ"أيلا" صديقة "چوليد" وأخر ما تريده "آشلي" هو جرح مشاعرها. ولكن ألمها منعها من اختلاق قصة.

- خنت القنفذ.

- ماذا؟

- نعم فعلت..مع "عُمر".

- ماذا؟ "عُمر"؟ هل تعنين عشيق "چوليد"؟ ...... لا أفهم!

هزت "آشلي" كتفيها. فقالت "أيلا" أخيرًا:

- ماذا أقول؟ لم أر أغرب من عائلتكم، تجيدون تعقيد الأمور، يجب أن أغضب منكِ ولكنني لست غاضبة، أنت ابنة أخت "چوليد".. كان علي أن أعتاد ألا أتفاجأ من تصرفاتكم، دائمًا تختارون أغرب الطرق، أعتقد هذا هو أسلوبكم في التعامل مع الحياة ....

شردت "أيلا" ورددت كلمات غير مسموعة، ظلت أعوام طويلة تحاول استيعاب "چوليد"، والآن رحلت "چوليد" ولكنها تركت "آشلي" كخليفة لها. كانت هذه الفتاة طبيعية، فهل تتحول الآن إلى إنسانه أنانية ومتهورة مثل خالتها؟ هذا مستحيل، لا يمكن لشخص أن يتحمل نسختين من "چوليد" في حياته.

- يمكنني أن أقول لك أنكِ كنت على علاقة بشاب رائع، كان بإمكانك الانتقال إلى منزله والاستمتاع بالحياة معه، ولكن بالطبع سأكون كمن يتحدث إلى الحائط، لذا سأسلك فحسب عما تنوينه الآن؟ بالتأكيد لن تستمرين في علاقتك بذلك الرجل المتزوج .....

- أي رجل متزوج؟

- "عُمر" بالطبع.

اتسعت عينا "آشلي"، فعلقت "أيلا":

- لا تقولي أنك لم تعرفي.

اضطربت "آشلي"، هل ذلك ممكنًا؟ كلا. مستحيل. ألم تكن لتعلم إن كان "عُمر" متزوجًا؟ ألم تكن خالتها لتعرف؟ لم تكن "چوليد" شخصية كتومة، كما أنها مرت بفضائح كثيرة حتى أنها لن تخجل من إعلان كونه متزوج.

- لا تكوني حمقاء يا "أيلا"، ظل الرجل مع "چوليد" لعامين، ذهبوا في رحلة سويًا، كثيرًا ما تناولا العشاء بالخارج، كان يقضي معظم الليالي في منزلنا، ليس متزوجًا، غير أن "چوليد" كانت لتخبرني.

- إذًا لماذا لم يقضي الليلة لديكما أبدًا، ولِماذا لم تذهب "چوليد" إلى منزله؟

- قضى الليلة عندي البارحة.

ولكن الشك بدأ يتمكن من "آشلي" فـ"أيلا" لم تكن من النساء التي تنطق بترهات.

- كيف يمكنني أن أعلم يا"أيلا"؟ كوني عقلانية، إن كان كذلك لأخبرتني "چوليد" بالتأكيد، لِمَ تخفي الأمر؟

إشتد ألم انفها.

- بالتأكيد لديها سبب جيد، كانت خالتك صديقة جميلة ولكنها لم تكن عاقلة.. كانت تختلق أمورًا تُصيبها بحزن شديد، ثم تصارع لمواساة نفسها ولكن بلا فائدة.. يتوسل إليها رجال ممتازون فترفضهم وتركض وراء المستحيلين، كلما صعُب الحصول على رجل كلما زادت رغبتها فيه، ألم تكن رائعة الجمال؟ أنت أيضًا كذلك.. كان العالم بالنسبة لها لعبة، تبعثرها ثم

تعيد جمعها من جديد، لم تهتم بالفضائح ولا بالنصائح، تفعل ما تريد دون استشارة، لا تتبعي خطاها، استخدمي عقلك. لا تسعي إلى المستحيل.

- أنت لم تسعي إلى المستحيل، أنظري إلى نفسك الآن يا "أيلا"، هل أنتِ سعيدة؟

- وما معنى السعادة على أية حال؟ أنا راضية لكوني غير تعيسة، على الأقل لدي ولدين، وأنام كل ليلة إلى جوار شخص معتادة عليه، إن كنت تنوين البحث عن السعادة فعليك تقبل احتمال أن تصابي بالتعاسة كذلك، لم يكن لدي تلك الشجاعة.

- أتألم بشدة يا "أيلا".

- انتظري سأحضر المرضة.

ارتدت "أيلا" الجاكيت وتوجهت إلى باب الغرفة، قبل أن تخرج استدارت وقالت لـ"آشلي":

- لست أكذب، الرجل متزوج.

حدقت "آشلي" بها ولمعت عيناها بشكل غريب بين وجهها المتورم، ثم قالت:

- وماذا في ذلك؟

سمعت "أيلا" تقول وهي تترك الغرفة:

- تشبهينها.

12

ملأ الزوار غرفة المستشفى ومعهم نسيم الربيع العليل من النوافذ المفتوحة فبثوا فيها بعض البهجة، استشعرت "نالان" التوتر بين "أيلا" و"آشلي" فأدركت أنه من الحكمة عدم الاستفسار، ومنعت "زيرين" أيضًا، التي كانت تلاحق "آشلي" بنظرات وإشارات متسائلة. "أكين" و"ليڤينت" أصدقاء "آشلي" من الجامعة كانوا يعاملونها - كعادة الرجال - كأنها أجرت استئصالا للزائدة لا أكثر. في أحد الأركان كان السيد "زوران" واقع في مجادلة مع زوجته حول لون الغرفة، كما قامت بإقحام "ليڤينت" - عازف الجيتار في حانات الدرجة الأولى في "بايوجلو" - في المناقشة. من حين إلى آخر، توجه "فريحة" نظرات غير راضية لـ"آشلي". في ركن آخر كانت "أيلا" تشكو لـ"آيكين" - الذي لم تقابله من قبل - من الزيارات الطويلة دون داعي للمرضى.

تتميز غرف المستشفى بنوع خاص من التجمعات، خاصة تلك التي لا يطوف حولها شبح الموت، يقضى الزائرون وقت أفضل من المتوقع. يثرثرون مع بعضهم البعض سواء كانوا على معرفة مسبقة أو تقابلوا للتو بسبب زيارة نفس المريض، يتناولون البسكويت والعصير.

يصبح الجيران، والزملاء، والأقارب أصدقاءًا مقربين. وعندما تشاهد مديرك

يتحدث إلى جارتك العجوز تشعر بالغرابة. يتطرقون إلى أخبار الطقس، التطور الهائل للرعاية الصحية، الأشخاص الذين يتوفون فجأة دون أي سابقة مرضية خطيرة، والأشخاص الذين قاموا بزيارة المريض والذين لم يفعلوا.

يتم تقييم الممرضات وفقًا لقدرتهن على الابتسام فقط، تتشارك الممرضات والمضيفات في الحقيقة نفس الواقع الأليم: مهما أتقن عملهن فإن الجميع ينتظرون منهن رسم أعذب الابتسامات على وجوههن. ورغم تشوق بعض الزوار إلى الحديث مع الآخرين، فإن قليل منهم ينزوون في ركن ما ولا يتيحون لأحد فرصة بدأ أحاديث معهم.

تأملت "آشلي" الجمع الغير تقليدي من الزوار في غرفتها. كانت في الثالثة والعشرين بلا قريب واحد يعتني بها. لو كانت "نالان" مكانها لنصب والديها وإخوتها الخيام وأقاموا معها في الغرفة، ولتناوب أعمامها وأخوالها على زيارتها. أما هي فمعها في الغرفة أربعة أصدقاء، اثنين من الجيران وصديقة خالتها. حينئذ تذكرت سعادتها عندما انتقلت للسكن من "چوليد" بعد وفاة والدها.

بدأ الحزن يتسلل إلى نفسها، تمنت وقوف والدها إلى جانبها الآن، وأن تُحضر لها والدتها كوب من الماء. كما كان وجود أجدادها - الذين لم تحبهم من قبل - ليسعدها الآن.

تمنت من أعماقها أن يأتي "عُمر". كلما نقر أحدهم الباب يضطرب قلبها. رغم خيبة الأمل المتكررة إلا أن مجرد الانتظار يسعدها. كل ما يحتاجه الحب هو القليل من الأمل، طالما بقي الأمل، يمكنك الانتظار للأبد.

13

ولكن "عُمر" لم يظهر لأنه لم يتصل بـ"آشلي" ولم يعرف ما حدث من "صبيحة". وعلى كل فمن يعلم إن كان سيأتي لو علم!

ظلت "آشلي" لأسبوعين تقفز كلما دق جرس الباب، وتكاد تبكي كلما أتضح أنه شخص آخر غير "عُمر"، تقف في الشرفة لساعات تتبع السيارات المارة. بينما في الواقع هي تحدق في الفراغ بقلب ثقيل، تحول حماس الانتظار إلى عذاب. كلما شعرت بإحتمالية عدم ظهوره مجددا كلما زاد ألمها. لم تفكر بالقنفذ خلال تلك الفترة على الإطلاق، على الأرجح يتألم هو الآخر، ولكن ما العمل؟ فكلنا نتسبب في جرح الآخرين أحيانًا، ونُجرح أيضًا، ولكننا بالنهاية نتعافى جميعا.

ربما تبقى بعض الندبات بعد التعافي فتئز مع كل ألم جديد. فاجأتها "زيرين" - بعد أسبوعين - بزيارة صباحية، كانت متأنقة كالعادة، مما جعل "آشلي" تخجل من بنطالها الرياضي القديم المعتاد. قالت "زيرين" ببشاشة:

- لدي أخبار كونية لكِ، رأيت "عُمر".

شعرت "آشلي" بالإختناق فلم تستطع النطق أمام صديقتها التي لم تكن تدري بحالها، أكملت "زيرين" بمرح:

- ذهبت إلى مطعم مأكولات بحرية مع والدي البارحة، وماذا رأيت هناك؟ "عُمر" جالس مع امرأة، ذهبت إلى طاولته مباشرة وألقيت التحية، تفاجأ بشدة! ثم قام بتعريفي على السيدة الجالسة معه وقال أنها زوجته، إنه متزوج، هل تصدقين ذلك؟ هل كنتِ تعلمين؟

- سمعت بالأمر.

- لم يبد ذلك عليه أبدًا، كان دائمًا هنا، يذهب في عطلات مع "چوليد"....

قاطعتها "آشلي" مشتعلة:

- وما شأني؟ هل يهمني المتزوج أو غير المتزوج؟

- ما سبب الغضب الآن؟

- لست غاضبة.

- بلى.

لم تستطع "آشلي" كبت فضولها:

- كيف تبدو المرأة؟

هزت "زيرين" كتفيها وجلست:

- عليكِ التحدث أولا.

- يا لكِ من سيئة الطابع، لا حاجة لك بمعرفة كل ما يدور بالعالم.

- إذًا فلا تحتاجين أنت كذلك لمعرفة كيف تبدو زوجته.

كان هذا موقف معتاد من "زيرين" حيث أنها تهوى الخوض في شئون الآخرين الخاصة وفي نفس الوقت لديها من الحظ دائما ما يكفي لتجد نفسها في مركز الأحداث، جلست بابتسامة نصر على شفتيها تنتظر أن تتحدث "آشلي".

أخذت "آشلي" نفس عميق وقررت أخبارها بكل شيء، لتحرر نفسها من بعض العبء وأيضا لتتجنب جلسات تعذيب أخرى. فهي تعرف أن "زيرين" لن يهدأ لها بال قبل أن تحل غموض موقف القنفذ.

- خنت القنفذ مع "عُمر"، لذلك اعتدى علي.

اتسعت عينا "زيرين" الكبيرتين وتراقص الحماس على وجهها. لقد وصلت لإكتشاف أكبر من توقعاتها.

دون انتظار سيل الأسئلة، أكملت "آشلي":

- لم أكن أعلم أنه متزوج، لم تخبرني "جوليد" قط، عرفت من "أيلا" في

المستشفى، ولكننا لم نعد نتقابل، لم يتصل بي، هل يمكنك التوقف عن القفز؟

جرف الحماس "زيرين" بعد ما سمعته، فلم تستطع المكوث في مكانها، بدأت تقفز وتصرخ:

- "آشلي" يا إلهي، لا أستطيع استيعاب الأمر، لم أكن لأتوقع ذلك منكِ أبدا. وكيف كان الأمر؟ وهل كنت غير سعيدة مع القنفذ؟

- كفى، بالطبع كنت سعيدة معه، انتهي النقاش.

- ولكن كيف كان الأمر؟

- انتهي ذلك النقاش.

حاولت "زيرين" الصمت لدقائق قليلة ولكنها لم تستطع السيطرة على سيل الأسئلة الذي انفجر داخلها.

- الآن أخبريني عن زوجته.

- بدت جيدة، نحيلة ولها شعر بني.. مجرد امرأة.

لم تكن تلك الكلمات التي تمنت "آشلي" سماعها. لطالما تخيلت زوجته كامرأة سمينة قبيحة وذات طباع سيئة.

- هل كان وضعهما جيدًا؟

- بمعنى؟

- هل كانا منسجمين؟

- لقد أمسك يدها قليلًا، ويبدو أنهما ظلا يتحدثان طوال الوقت.

- حسنًا.

- هل تضايقت؟

- لا يهمني. فليسعدا بحياتهما.

ذهبت "آشلي" إلى الحمام، أرادت التقيؤ، والبكاء، أرادت أن تبكي بينما تتقيأ. فتحت الصنابير ووقفت تتأمل المياه المنسابة. عندما عادت إلى غرفة المعيشة كانت تشعر بتحسن.

وجدت "زيرين" تتأمل الطرود المُعدة لكي يتم نقلها إلى منزل القنفذ.

- ماذا ستفعلين بشأن السكن الآن؟

- سأبقى هنا، وجدت "أيلا" مشتري لللوحات، من الواضح أن لهم قيمة أكبر من ظني، سأبيع البيانو أيضًا..

كانت اللوحات من أعمال أحد عشاق "چوليد" السابقين، والذي اشتهر مؤخرًا. كانت فكرة "أيلا" أن يتم بيعهم، لزوجها صديق يملك معرض فني أبدى استعداده لشراء الخمس لوحات جميعًا. سيتيح ذلك لـ"آشلي"

البقاء بالشقة لمدة أطول، كانت ممتنة لـ"چوليد" التي تركت لوحات ذات قيمة بدلا من بضع الصور القديمة الباهتة. ورغم عشقها لهم، إلا أنها – في نهاية الأمر- لم تكن "كاترين دي ميديشي".

قالت "زيرين":

- لم أكن لأبيعهم لو كنت مكانك.

-لماذا؟

- لأنها تذكارات من "چوليد".

- اللعنة على التذكارات، عندما يترك لكِ أحدهم منزلًا فهذا يُسمى ميراث. إذًا لِمَ يجب اعتبار اللوحات تذكارات، كما لم تقم برسمهم بل أحد محبيها.

لم تستسلم "زيرين":

- ولكنكِ ستبيعين البيانو الخاص بها..

- تأكدي أنني سأبيع ملابسها الداخلية إن كانت تساوي بعض المال، ألا تفهمين؟ عندما يجوع البشر يأكلون بعضهم البعض، أنا مُفلسة ووحيدة ولست شجاعة كفاية لأعيش في زقاق من أجل الحفاظ على ذكرياتي.

كانت "زيرين" تضع ساق فوق الأخرى، وعلقت باستهتار:

- كل ذلك بسبب حماقتك.

- أجل أنا حمقاء، لأنني أعطيتك بعض الأهمية وجلست أتحدث معكِ، والآن انزلي ساقك هذه وأخرجي من هنا.

وظلت تدفع "زيرين" حتى أخرجتها من الشقة، دونما إصغاء لاحتجاجاتها. كان عقلها يرفض "زيرين" تمامًا الآن، من الصعب تحمل هذه الفتاة لأطول من فترة زمنية محددة، فعادة ما تُخرجك عن شعورك. تصبح سامة أحيانًا، وهكذا هي اليوم. لا تستطيع منع نفسها من اختراق خلاياك وقول ما يخطر على ذهنها أيًا كان.

وجدت نفسها تحدق بالهاتف وهي تستمع إلى خطوات "زيرين" الغاضبة. أرادت الإتصال بـ"عُمر" والانفجار به. تذكرت عندما كانت تُثني أصدقاءها عن القيام بأفعال مماثلة في الماضي. تُرى كيف كانت تمنعهم؟

لم تتصل به بالطبع. لم تستطع، بدلًا من ذلك خرجت مع أصدقاءها، غيرت مكان الأثاث بالمنزل عدة مرات، قامت بالتنظيف، شاهدت عدد لا يُحصى من الأفلام، عثرت على تلميذين، ذهبت إلى دجال، اقتنت قطة، قرأت العديد من الكتب، أضاعت القطة، استسلمت للكراهية، طهت، حضرت اجتماع قاطني العقار، شعرت بالأسى، شعرت بالغضب، ذهبت في رحلة إلى منزل والدي "نالان" الصيفي، سبحت، غضبت لأن جلد ظهرها تقشر، وأكلت بطيخًا وجبنًا تحت الشمس.

عادت إلى المنزل تسحب حقيبتها خلفها، لم تستطع حملها على ظهرها لأن جلدها المتقشر سيؤلمها، فحتى حمالة الفستان الذي ترتديه تؤلمها. المشكلة

الكبرى كانت قدماها، فجلدها مُقشر بدرجة سيئة حتى أنها اضطرت لارتداء الصندل الخاص بـ"نالان" وهي طفلة. وقبل صعود الدرجات خلعته وصعدت حافية القدمين. كانت تبحث عن المفتاح في حقيبتها عندما رأت الظرف الأبيض الصغير المُعلق بالباب، عادة يستغرق البحث عن مفتاحها ثلاث أو أربع دقائق وهو ما يدل على بطء عقلها - وفقًا لرأي "نالان" - ولكنها توقفت هذه المرة عن البحث وأخذت الظرف.

"أفكر فيكِ كل دقيقة، أرجو منك الاتصال بي. "عُمر"".

14

جلست على الدرجات لا تعرف ماذا تفعل، في الواقع كان كل ما تريد فعله الآن هو الركض بأقصى سرعة لديها. احتارت بين القفز فرحًا أو البقاء هادئة بلامبالاة. غريبة هي الحياة، تتحول من عبء ضخم إلى جرعة صادمة من البهجة في أقل من دقيقة. قامت عن الدرجات الباردة وبمجرد أن وضعت يدها في حقيبتها وجدت المفتاح، كأنها لعبة فضولية من القدر.

استقبلتها الشقة بهواء مكتوم وساخن، حيث كانت مُغلقة لعدة أيام. أسرعت إلى النوافذ تفتحها، فدخل بعض النسيم البارد. لطيف هو الجو الحار، والجو البارد، ولطيف منزلها، حتى الذبابة التي تسللت إلى الداخل لطيفة كذلك. التأمت جروح كبرياءها بسرعة مذهلة، حيث اتضح خطئها حين ظنت أنها غير مرغوب فيها. أشرق يومها لمجرد استقبالها لبضع كلمات من شخص ما، ولكن ذلك لم يُقلقها، شرعت في إعداد كوب من الشاي. بين الكلمات بدا اهتمام "عُمر" بينًا، وهذا ما أسعدها. لن تتعجل في الاتصال به فهي تريد أن تستمتع بهذه اللحظات بقدر الإمكان.

شعرت بالجوع لأول مرة منذ أسابيع، اتصلت بـ"نالان" ورغم

إفتراقهما منذ أقل من ساعة، أقنعتها أن تقابلها في المطعم المُفضل لديهن. اندهشت "نالان" لنبرة "آشلي" المرحة وإصرارها على اللقاء ولكنها لم تعلق أو تعترض. كانت سعيدة بعودة "آشلي" إلى عالم الأحياء بعد أن ظلت لأسبوع تجر نفسها كالجثة في المنزل الصيفي. بدت "آشلي" كمن لديه اضطراب ثنائي القطب وهي تقابل صديقتها بعينين لامعتين وضحكات مجلجلة، قالت "نالان" وهي تحرر نفسها من ضمة "آشلي" القوية بغير مبرر:

- أتمنى أن يكون لتصرفاتك الغير طبيعية تفسير منطقي.

- لقد ترك لي رسالة، ها هي أقرئيها..

- أوه هذا رومانسي! إنها تشعرني بالغثيان.

- لا تكوني مُقززة. ألست سعيدة؟

حدقت "نالان" بها، كانت تعلم أن وعظ شخص مُغرم، لا يفيد. تذكرت قول "چوليد":

- الحب صنارة الشيطان.

يسحبك إلى حيث لا عودة، ويجعلك تُقدم على تصرفات متهورة. فبمُجرد اصطيادك بتلك الصنارة، لا يستطيع شيء إنقاذك، لا كبرياءك ولا العقل ولا الأخلاقيات.

قالت "نالان" والأحرف تخرج من فمها بصعوبة، بسبب قطعة الخبز الكبيرة التي قضمتها:

- لن أعلق، لأنك لن تأتي لتبكي على كتفي المرة القادمة.

لم يستطيعا التجول في شارع "بغداد" بعد الغداء كما كان مُخططًا، لأن ألم قدمي "آشلي" أشتد. في النهاية عادت كلا منهن إلى منزلها. أرادت "آشلي" تأجيل الاتصال بـ"عُمر" قدر الإمكان، لأن الاتصال يعني بدأ علاقة حقيقية معه، ومن تلك اللحظة سيبدأ عمر علاقتهما بالتناقص. الميلاد هو أول خطوة نحو الموت، كذلك العلاقات، بمجرد أن تبدأ، تتحرك نحو نهايتها: حتى يفرقكما الملل، الخيانة، الحياة أو الموت.

انتظرت حتى الصباح التالي، بعد أن استيقظت من أفضل نوم حصلت عليه منذ أمد، تجولت في المنزل بلا هدف لعدة ساعات، ثم استقرت بجانب الهاتف. رفعت سماعة الهاتف المُتهالك وطلبت مكتب "عُمر". أجابت مديرة المكتب بصوت يُعبر عن ملل يوم الأثنين ثم حولت المكالمة إلى "عُمر". كان سماع صوته كالمعجزة، ولكن المعجزة الحقيقية هي استشعارها تلك الرعشة في صوته.

15

حدث كل شيء سريعًا. وصل "عُمر" قبل مرور ساعة، احتضنا بعضهما طويلًا أمام الباب. أخبرها "عُمر" أنه يحبها فضحكت ثم قال أنه يحبها بحق فبكت. في المساء، بينما كانت تستلقي في حضنه، استجمعت شجاعتها لتسأله:

- أنت متزوج، أليس كذلك؟

- بلى.

- هل كانت "چوليد" تعلم؟

- نعم.

- أيتوجب علي الاستعانة بملقاط لإخراج الكلمات من فمك أم أنك ستخبرني بكل شيء؟

أعتدل "عُمر". قالت "آشلي" ونظرها مثبت على نقطة صغيرة بالحائط:

- أتمنى ألا يتضح أنك أخي الذي فُقد منذ دهور.

- ليس لهذه الدرجة، ولكنني متزوج من "داليا".

قفزت "آشلي" من السرير وصرخت بـ"عُمر" بصوت خرج أعلى من المتوقع:

- ماذا تقول؟ هل نحن في جلقة جديدة من تلك الدراما الأمريكية؟

كانت "داليا" الطالبة المُفضلة لدى "چوليد" على الإطلاق. قابلتها "آشلي" منذ أثنى عشر عامًا عندما انتقلت للسكن مع "چوليد". كانت "داليا" وقتها في الثامنة أو التاسعة عشر من عمرها، فتاة رقيقة ولكنها شديدة الخجل، لها وجه شاحب، وشديدة التعلق بـ"چوليد" التي تُدرسها منذ كانت في السابعة. اعتادت زيارة "چوليد" في غير أوقات الدرس وقضاء أوقات طويلة معها. بعد مجيء "آشلي" بعام واحد، وقعت "داليا" في غرام رجل ما. رفضت عائلتها العلاقة بشدة لأنه لم يكن يهودي الديانة، مثلهم. انهارت الفتاة وبكت لأيام وليالي ولكن عائلتها لم تتراجع. أرسلوا "داليا" إلى "جزر الأمراء" ثم إلى "إسرائيل" للتأكد من استحالة اللقاء. خلال هذه الفترة حاولت "چوليد" مساعدة الفتاة قدر الإمكان، اتصلت بعائلتها وحاولت إقناعهم ولكنها فشلت. فتحولت إلى وسيط سري بين العاشقين. في النهاية، ذهب العاشق إلى "تل أبيب" وعاد بـ"داليا"، تزوجا في حفل صغير وشهدت "چوليد" على الزواج. لم تسامح العائلة ابنتهم قط. قابلت "آشلي" زوج "داليا" مرة واحدة، ولكنها لا تستطيع الربط بينه وبين "عُمر"، كأنهما شخصان مختلفان، فالرجل الذي رأت كان أنحف وأطول.

لأول مرة تشعر "آشلي" بالخزي من خالتها، فـ"داليا" كانت كابنة لها، تجلس معها أمام البيانو لساعات دون ملل أو إرهاق، حتى تشعر "آشلي" بالغيرة.

رغم معرفة الجميع أن "چوليد" تقوم بأفعال عجيبة إلا أن سرقة زوج الفتاة -التي كانت من أقرب الُمقربين لـ"چوليد" والتي كافحت كثيرًا حتى تتزوجه - لم تبدو كفعل مُبرر على الإطلاق. هل من الحقيقي أنه لم يكن لتصرفات "چوليد" حدود؟ تذكر أن خالتها قالت مرة بمرح:

- بالطبع لدي بعض الحدود، فيمكنني أن أقيم علاقة مع أصدقاء عشاقي ولكنني لا يمكن أن أقيم علاقة مع عشاق صديقاتي.

من الواضح أنها لم تعتبر الأزواج عشاقًا.

- هل كانت "داليا" تعلم بأمرك أنت و"چوليد"؟

- أعتقد ذلك ولكننا لم نتحدث عن الأمر، كانت تتظاهر بعدم العلم..

- لماذا؟

- ربما لا يعنيها الأمر.

- إذا لِمَ لا تنفصلا؟

- كافحنا كثيرًا لنتزوج، وقدمت "داليا" العديد من التضحيات، هجرت

عائلتها، كانت شديدة التعلق بوالدها ولكنه توفي وهو غاضب منها، عندما ذهبت إلى الجنازة هاجمتها أمها وطردتها، من الصعب الاعتراف بأننا أخطأنا بعد كل ما مررنا به، لقد انتهت قصة حبنا ولكننا نتظاهر بالعكس.

- متى بدأت علاقتك بـ"چوليد"؟

- عندما لاحظت "داليا" أن علاقتنا في تدهور تدخلت "چوليد"، تقابلنا عدة مرات للتحدث، ثم بدأ الأمر ...

- هل كنت تحبها؟

- كلا، كنت أشعر بسعادة كبيرة معها، عندما يكون الرجل مع امرأة لا تكترث لبقائه أو رحيله، لا يستطيع الرحيل أبدًا.

- هل كانت تحبك؟

- كلا، أعتقد أنني كنت أطمأن خوفها من فقدان شبابها.

كانت المحادثة مرهقة لكليهما، جلسا صامتين لفترة ثم قال "عُمر":

- أعلم أن علاقتنا شاقة بالنسبة لكِ.

- في الواقع، لا يهمني كونك متزوج.

كانت تقول الحقيقة، على الأقل في هذه اللحظة...

16

لم تهتم حقيقة خلال الأشهر القليلة الأولى. كان "عُمر" واقعًا في غرامها، يتقابلان يوميًا، وزوجته كالخيال، كقرية بعيدة تعرف بوجودها لكنك لم ولن تزورها أبدًا. أحيانًا يتقابلان أثناء النهار، وأحيانًا يمر عليها بعد الانتهاء من عمله، حتى أنه كان يبيت معها من وقت لآخر. لم يبد عليه توتر الرجل المتزوج الذي يقابل عشيقته. كانت "آشلي" متأكدة أنها ستفقد اهتمامها به إذا بدا عليه أقل علامة من التوتر. شاهدا الأفلام معًا واكتشفا مطاعم جديدة. تأكدت أن أمر زواجه انتهي منذ زمن.

لم تستغرق وقتًا طويلًا كي تنال جرحها الأول، كان يوم الأحد وكان مشمسًا، في بداية الربيع. خرج الجميع للتمتع بالطقس، كانت "آشلي" تتسكع بشارع "بغداد" مع "نالان" و"زيرين" عندما صرخت "نالان" فجأة:

- "آشلي" لا تنظري، إن "عُمر" قادم نحونا، مع زوجته.

تفحصت "آشلي" الجمع المُتحرك تجاههم حتى وجدتهما، يمشيان يدًا بيد، بأريحية زوجين ينتميان لبعضهم البعض. لم يخطر ببالها أنه قد يمسك يد زوجته. بعد لحظات التقت أعينهم ولكن "عُمر" أكمل طريقه دونما

انزعاج، كان يرتدي القميص الأسود الذي اشتراه مع "آشلي".

تمتمت "نالان":

- يا له من حقير!

وبدا الاحتقار على وجهها لأول مرة، أما "زيرين" ففقدت عقلها من شدة الحماس.

جاءت اللطمة التالية على عجالة. كان ذلك في الفترة التي ضرب فيها الاختراع المُسمى الهاتف الخلوي حياة الناس، واعتبره البعض نعمة. أهدت "داليا" زوجها واحدًا - والذي يعد بمثابة طوق بعيد المدى - ومنذ ذلك اليوم لم يعد وجودها خيال بعيد بل حقيقة مُثبتة. كانت "آشلي" تشهد محادثاتهما وكيف يلقيان النكات ويضحكا معًا، بدأ الأمر يزعجها. رؤية فزع "عُمر" كلما رن هاتفه، تزعجها أكثر من صوت حك السبورة بالأظافر.

وبدأت الرومانسية تتلاشى مع اصطحابه لها لشراء كيلوين من اللحم ليأخذهم معه إلى البيت مساءًا.

انتشرت الغيرة في جسد "آشلي" وذهنها، فضمت إلى جانب زوجته كل النساء الأخريات في حياته.

كلما جرحها وضعها مع "عُمر" كلما تفننت في اختلاق طرق لجرحه

هو الآخر. بدأت تقيم الحفلات بمنزلها في غيابه وتتعمد دعوة الرجال، وعندما يسألها مع من كانت تذكر اسم أي رجل يخطر ببالها حتى إن كانت في نزهة تقليدية مع صديقاتها.

أحيانًا ينفصلان لوقت قصير، فتقاوم هي حتى يطرق "عُمر" بابها، دائمًا. بنهاية العام الأول أصبحت علاقتهما مثيرة للشفقة: كانا يشعران بالغيرة من أحلام بعضهم البعض. يتعاركان بسبب رجل جالس على منضدة مجاورة، أو صورة امرأة في مجلة حدق بها "عُمر" أكثر من اللازم.

بدأ السؤال يطاردها: إن كانِ "عُمر" يحبها لِمَ لم ينفصل عن زوجته؟ لم توجه السؤال له حفاظًا على كرامتها ولكن الشعور بالظلم قد تخلل صفاءها. تعجبت كيف لا يخشى عليها العيش بمفردها بينما حولها هذا العدد من الرجال. أحيانًا تتحول محادثاتهما إلى مسابقة في الإهانات. في إحدى الأيام بينما يشاهدا التلفاز بمنزل "آشلي" سألته ببرود:

- لِمَ لا تنجبان طفلًا؟

عندما نظر إليها "عُمر" متفاجئا، ألحت قائلة:

- أم أنك غير قادر على الإنجاب؟

- أيمكنك التوقف عن الأسئلة السخيفة؟

تناولت قطعة من التفاح وأكملت:

- ليست سخيفة، ألستما متزوجين؟

- لن ننجب أطفالًا.

- أعتقد أن على الجميع إنجاب طفل.

- فلتفعلي ذلك إذًا ...

أعادت انتباهها إلى التلفاز وهي تقول:

- بالطبع سأفعل.

وبعد لحظة أضافت:

- بعد أن أتزوج.

كان بالها دائم الانشغال بـ"عُمر"، وكأن ما بها لا يكفي فقد ازدادت عليها الأعباء المادية، ولم تجد تلاميذا منذ ثلاثة أو أربعة أشهر. أنفقت ما بالبنك على الإيجار والبنزين، أما ما حصلت عليه من بيع اللوحات فقد أوشك على الانتهاء كذلك. سيُستنفد كل شيء قريبًا، أو أن "آشلي" ستستنفد نفسها أثناء محاولاتها.

بالنهاية باعت سيارتها الحبيبة. آلمها ذلك حتى البكاء. كان "عُمر" ناجحا في مجال تجارة السيارات ويعرف العديد من الأشخاص ولكنها اختارت ألا تخبره عن الأمر برمته حتى تمامه خشية أن يحاول إعطاءها بعض المال.

استبدلت "البي أم دابليو" بسيارة محلية الصنع، صغيرة وقبيحة. كانت مُستعملة ولكن في حالة جيدة، واستطاعت تجنب أن يراها "عُمر" لعدة أسابيع. شاءت الأقدار أن يستبدل "عُمر" سيارة زوجته في نفس الفترة، بسيارة "پورش" حديثة، فأصبح لدى "آشلي" سبب جديد لإخفاء سيارتها.

مر شهرين حتى إتصل "عُمر" في يوم وكان صوته غاضب:

- لقد رأيت سيارتك للتو، يقودها أحمق!

حاولت إضافة كل البهجة المُمكنة على صوتها:

- قمت ببيعها.

- لماذا؟!

- أحب ماركة "أونو" الجديدة كثيرًا.

بدا الوضع ساخرًا لها، بعد لحظات من الصمت قال "عُمر":

- غبي أنا، ألست كذلك؟ لم أسألك أبدًا إن كنتِ ....

لم يتمكن من إنهاء الجملة فأنهي المكالمة.

حضر مساءً ومعه مفتاح سيارة كبير، وضعه على المنضدة وهو يقول:

- أريدك أن تستخدمي هذه.

- الأمر مرفوض تمامًا، لست من "حريمك".

- ولكنك أعتدت قيادة سيارة القنفذ، وكان لديك سيارة حينها ...

- كان القنفذ حبيبي.

- إذًا من أكون؟

- لست مثله، الأمر مختلف. لديك زوجة.

- أنتِ حبيبتي لأني أحبك.

أحاطته بذراعيها وهي تقول:

- كلا لست كذلك، من فضلك فلننه النقاش، إنه يؤلمني، لست مسئولا عني، حسنًا؟ ولكنني أقدر عرضك وأشكرك جزيل الشكر.

لم يتطرقا إلى هذا النقاش مرة أخرى، لاحظت "آشلي" عليه الألم واليأس ولكنها تظاهرت بعدم الملاحظة. تمتعت بألمه كنوع من الانتقام. سينفصل عن "داليا" عاجلًا أو آجلًا، هي متأكدة من ذلك. كانت ما زالت تؤمن بنهايات الروايات الخيالية.

17

أحبا بعضهما بجنون ولكنه صراع مميت. ينتقلا من بؤس عميق إلى سعادة مُفرطة ثم يعودان للحزن وهكذا. عامان مليئان بالصراخ، الجدال، الغيرة، الدموع، صفع الأبواب، إنهاء المكالمات بغضب، التوسل، الانفصال، العودة، ليال بلا نوم.

كيف فقدت راحة البال التي اكتسبتها في الأيام الأولى؟ عندما ظنت أن عشق "عُمر" لها يكفي ولم تكترث لكونه متزوجا. ماذا تغير؟ مازال "عُمر" يحبها بجنون. لماذا تشعر بانزعاج واختناق دائمين؟ ولِمَ يخبرها شيطانها أنه لو كان "عُمر" يحبها بصدق لأختار أن يكمل حياته معها؟ وما تلك الأصوات بداخلها التي تؤكد صحة رأي شيطانها؟

في هذه الأثناء تخرجت "آشلي" من الجامعة وحصلت على وظيفة ذات دخل متوسط في قسم التسويق في شركة أجنبية. أضاف "عُمر" تجارة الأقمشة إلى تجارة السيارات. كانا يتحدثان لساعات في كافة الموضوعات دونما التطرق لمستقبل علاقتهما بكلمة. لم تسأل ولم يعلق، حتى عيد ميلادها الخامس والعشرين.

اتجها ليلتها إلى "كومكابى" مع خمسة عشر من أصدقاء "آشلي" للاحتفال. تأخر الوقت وأفرطت "زيرين" في الشراب فبدأت تضايق "عُمر" وتعكر الجو. لم تشأ "آشلي" التدخل رغم إدراكها أن صديقتها تخرج عن السيطرة. أرادت أن تستمتع "زيرين" بالوقت مثلهم جميعًا. فجأة، وقفت "زيرين"، طلبت من العازفين التوقف، ووجهت سؤالًا لـ"عُمر" إقشعر له بدن "آشلي":

- "عُمر" متى ستنفصل عن زوجتك وتتزوج من "آشلي"؟

جاء رد "عُمر" مباغتًا:

- حسنًا أنا لا أفكر في الانفصال، أحب زوجتي و"آشلي" تعلم ذلك.

في الواقع، لم تكن تعلم. كيف تعلم إن لم يخبرها؟ أليس هو من قال إنه وزوجته يتظاهران فقط أن زواجهما مستمر بينما كل شيء انتهي وفقد معناه منذ زمن؟

تجمد الموقف، خشى الجميع النظر إلى "آشلي" فحدقوا في صحونهم. حينها أدركت "آشلي" لِمَ لم تجرؤ أبدًا على توجيه ذلك السؤال لـ"عُمر": كانت تخشى سماع هذه الإجابة. يمكنك تجاهل الحقيقة طالما لم تُنطق، لكن ما أن تسمعها حتى تعجز عن الهرب منها.

تظاهرت بالهدوء وأمسكت بيد "عُمر":

- عزيزي، لماذا لا تذهب الآن وتخبر زوجتك كم تحبها؟

- أنا لم أعني ذلك ... أنت تعلمين ... أنا ....

- أخبرها أيضًا أنك لن تخونها مجددًا، على الأقل ليس معي.

- أيمكننا مناقشة الأمر لاحقًا؟ لقد شربت وأخرجتني "زيرين" عن شعوري.

- من فضلك، ارحل الآن.

وقف "عُمر" وألقى منديله بوجه "زيرين" ثم ترك المكان.

خلال الأسبوعين اللاحقين ودون أن تخبر "آشلي" أي شخص، قامت باستئجار شقة صغيرة بمنطقة قلعة "روملي حصار" واستقالت من وظيفتها. كانت تعلم أن "عُمر" لن يتركها وأنها لن تستطيع مقاومته.

بعد تلك الليلة في المطعم، إتصل بها "عُمر" عدة مرات كما جاء إلى منزلها، كانت ترفض التحدث قائلة:

- احتاج بعض الوقت، فلتدعني في سلام.

والحقيقة أنها كانت تحاول كسب الوقت لتنفذ خطتها.

في يومها الأخير بالعمل، جمعت متعلقاتها وتوجهت إلى الجراج. وهناك فوجئت بوجود "عُمر". واقفًا إلى جوار سيارتها. بدا عليه البؤس وخسران شيء من الوزن.

قال الرجل الذي يحب زوجته:

- أنا مستعد للحديث، مستعد لفعل أي شيء، أنا أحبك.

- فات الأوان.

صعدت إلى سيارتها ورحلت. لم تستطع النطق بما تمنت قوله:

- كل ما تمنيته هو أن تريدني بقدر ما أردتك.

لم تره مجددًا. وانتقلت في اليوم التالي إلى منزلها الجديد.

18

يقع المنزل الجديد في شارع صغير بمنطقة "رومِلي حصار". محل بقالة صغير، أشجار مُعمرة، كراس خشبية أمام المقاهي والأطفال يركضون ويصرخون بحماس. ارتاحت للشقة الجديدة الصغيرة بالطابق الأرضي من المبنى الرث. كانت مساحة غرفة المعيشة لا تتعدى نصف مساحة مثيلتها السابقة، والأشجار بالحديقة الأمامية والخلفية جعلت المنزل مُظلما ولكنها أحبت صوت أوراق الشجر، خاصة وقت هبوب الرياح.

تخلت عن معظم الأثاث، ولكنها أبقت على ما يجعل المكان الجديد مريحا ودافئا. بدا أثاثها الإنجليزي الطراز غريبًا في هذا المكان، من حسن الحظ أن مالك العقار اختار اللون الأبيض للحوائط - لون يناسب جميع الأذواق. كان للحمام والمطبخ طراز ريفي لم تره "آشلي" من قبل. تغطي الحوائط مربعات حجرية، وتغطي الأرض والأحواض بلاطات صفراء. خزائن المطبخ الخشبية، مغطاة بدهان أبيض لامع، ومتعوجة.

لم يكن لسكان العقار القديم أطفال، أما هنا فيظهر الأطفال من كل ركن. يطرقون الأبواب ويركضون، ولا تهدأ الضوضاء التي يصدرونها

حتى منتصف الليل. يبدو أن هؤلاء الأطفال ذوي الوجوه الملطخة بالدموع والوسخ، لا يخلدون إلى الفراش حتى وقت متأخر. تجلس الأمهات البدينات، مرتديات تنورات طويلة مزخرفة بالورود، على كراسٍ بلاستيكية أمام المبنى، يقومن بالحياكة والنميمة، ولا يقطعن النميمة إلا للصراخ في أطفالهم بأعلى صوت ممكن.

لم يعلم أحد بأمر استقالتها وانتقالها، حتى "نالان" و"زيرين" و"أيلا"، فقد خشيت أن تخبر إحداهن "عُمر". قررت الاتصال بهن فور توصيل خط الهاتف إلى منزلها الجديد لتطمئنهن. ستطلب من "أيلا" أخذ ما تريد من أثاث الشقة القديمة، والسماح لـ"سيف" و"صبيحة" بأخذ المُتبقي. بكت "صبيحة" بحرقة عند رؤيتها لشاحنة نقل الأثاث.

الشخص الوحيد الذي اتصلت به "آشلي" هو "ليڤينت"، طلبت منه البحث عن عمل جديد لها، وهكذا فعل: بدءًا من الغد ستتسلم "آشلي" عملها كنادلة في ملهى ليلي. يسهل على الفتيات الجميلات، مثيلاتها، إيجاد وظائف مثل تلك، ولكنها بالطبع لا تنوي الاستمرار في هذا المجال. سترسل سيرتها الذاتية إلى أماكن عدة وتحصل على هاتف خلوي. ولكن عليها كسب بعض المال إلى أن تجد الوظيفة الملائمة.

عملت في الملهى الليلي لأربعة أشهر، تبدأ قرب نهاية النهار وتعود إلى المنزل مع فجر اليوم التالي. للأسف لم تتأقلم ساعتها البيولوچية مع الوضع الجديد، فأصبحت تنام طوال الوقت حتى موعد العمل التالي. في الأيام الأولى سمعت الكثير من التعليقات غير الملائمة من الزبائن ولكنها

سرعان ما توقفت عند إدراكهم أنها بلا فائدة وإن ظل الزبائن الجدد يزعجونها من حين لآخر. كان طاقم العمل لطيفًا. يحل عليها الإرهاق خاصة في نهاية الأسبوع ولكنها تستمتع ببعض الأيام القليلة. لم تشتك من أعباء العمل، حيث تمنع عقلها من التفكير بـ"عُمر".

صوابٌ ما قامت به، ترك كل شيء خلفها والبدء من جديد، أمامها الكثير لتتأقلم معه والكثير من المكافحة مما لا يتيح وقت للحزن أو الندم. ولكن "عُمر" لا يزال ثابت في ركن من عقلها، عندما تأكل، تنام، تأخذ طلبات الزبائن، تجمع الصحون الخالية، تمزح مع زملائها، تنظف شقتها، تسدد فاتورة الكهرباء. لم تتمكن من دفن ذكراه بعد.

بعد مرور الأربعة أشهر وجدت وظيفة في شركة أجنبية أخرى، ستقوم بنفس المهام ولكن مقابل دخل أكبر. إنها بداية جيدة وإن كان ما تكسبه من الملهي أعلى. تحدثت مع المالك لتعلمه أنها ستستقيل فعرض عليها العمل أيام الجمعة والسبت، كان عرضًا جيدًا فقبلته. عقدت مع المالك إتفاق: إن رآها أحد زملائها الجدد بالشركة وهي تعمل بالملهي سيخبرانه أنها تساعد صديقًا. ولكنها لم تتحمل إيقاع الحياة ذات الوظيفتين، فاستقالت تمامًا من الملهي بعد شهرين.

في هذه الأثناء بدأت تواعد "ليڤينت"، ولكنها لم تقع في حبه، لم يدغدغ قلبها حتى أثناء ممارستهما للحب. بدا كل شيء مثالي، وإن ظل قلب "آشلي" مُغلق. كان يذكرها بقنفذها: فهو حساس، نبيل ومتوازن. ظلا على علاقة لعام كامل ثم انفصلا بود وبقيا أصدقاء. كم من السهل

الانفصال بشكل حضاري عن شخص لم تحبه؟

حصلت بعده على عدة أحباء، كانت تظن أحيانًا أنها عثرت على الرجل المناسب. شعرت معهم بالسعادة، ضحكت كثيرًا، اشتاقت، انتظرت، غضبت، تشاجرت. في الواقع، أحبت بعضهم، ولكنها لم تدخل أبدًا في علاقة بعنف ومتعة علاقتها بـ"عُمر".

تجنبت سماع أخباره، أعلمت جميع أصدقائها بأنه من غير المسموح التحدث عنه، لم تذهب إلى أي مكان كانت قد اعتادت الذهاب إليه معه، لم تمر بالقرب من منزله أو محل عمله. لكن بعد أربع سنوات، وفجأة، كسرت "زيرين" الصمت. كانت "آشلي" في منزل "نالان"، عندما اقتحمت "زيرين" المكان بوجه متوهج وعينين لامعتين وقالت:

- لدي أخبار لا تصدق! سمعت أن "عُمر" أخرج "داليا" من حياته نهائيًا، لديه حبيبة، ولن تصدقا التالي: ينوي الزواج منها!

صُعقت "نالان" من تصرف "زيرين" المتهور، فألقت بنفسها في إحدى المقاعد ووضعت رأسها بين يديها. دخلت "آشلي" الحمام وأغلقته عليها، هذا ألم يستحيل الشفاء منه. سيقتلها بالتأكيد، سيقتلها الليلة، لن يتحمل جسدها الضعيف هذا العذاب.

سمعت "نالان" تصرخ بـ"زيرين":

- لم أر شخص في مثل حماقتك وغبائك، لديكِ فم متهور.

حاولت "زيرين" الدفاع عن نفسها:

- كانت ستعرف بالأمر على أية حال.

- كيف؟ هل هو من المشاهير؟ هل تكتب الصحف عن أخباره يوميًا؟

فتحت "آشلي" الصنابير وحدقت بالماء المتدفق. كان ذلك نوعا من العلاج اخترعته حديثًا، أن تشاهد الصنابير تبكي بدلًا منها. ظلت هكذا، كمخبولة مسحورة بالماء، لساعة. هدأت قليلًا، تعلمت فن المعاناة منذ أمد وتدرك جيدًا أن المقاومة لا تُجدي. عليها الترحيب بالألم، الاستسلام له حتى النخاع، هذه هي القاعدة. عليها السماح لعقلها، لذكرياتها - والأسوأ على الإطلاق - لخيالها، أن يعذبها. فإن كان عليها السقوط في القاع، فعليها أن تفعل ذلك بجلبة. وإن كان عليها البكاء بحرقة، فإن عليها أن تستنزف دموعها.

سينتهي الألم بالنهاية، عاجلًا أم آجلًا.

كانت "زيرين" قد رحلت عندما خرجت، احتضنتها "نالان" فبكت. بكت لأن "عُمر" لم يحبها، لأنه أحب شخصا آخر، لأن الجميع علم بالأمر، لأنه إنفصل عن "داليا" لا ليكون معها بل ليكون مع فتاة أخرى ... بإمكانها البكاء إلى الأبد.

تساءلت "آشلي" من بين دموعها:

- والآن سينجب أطفالًا أيضًا، أليس كذلك؟

لم تجب "نالان" وازداد بكاء "آشلي"، كم تمنت أن تكون أمًا لأبن

"عُمر"، وأن يرزقا بصبي يشبه أبيه تمامًا، حتى أنها اختارت له الاسم: "علي". حملت - أثناء علاقتهما - بطفل من "عُمر"، كان عليهما الانتظار قليلًا قبل عملية الإجهاض، فكانت تلك الأسابيع القليلة التي حملت فيها طفل "عُمر"، أجمل أيام حياتها. شعرت خلالها بسعادة عارمة وبأنها أكثر نساء الأرض تألقًا. ليس لغباء البشر حدود ....

ربتت "نالان" على كتفها وهي تقول:

- أنتِ فتاة قوية، ستجتازين هذا الحزن أيضًا.

كأنما القوة اختيار، كأن نسف حياتها القديمة، وبناء حياة جديدة بضاحية في "روملي حصار"، والتخلي عن سيارتها المحبوبة، وقيادة سيارة "أونو" مُستعملة، والعمل بشكل متواصل ليل نهار، هو ما أرادت. لو أن "عُمر" اختار بدء حياة طبيعية معها، لقضت النهار في المنزل تأكل الكيوي في انتظار عودته ولاستمتعت بذلك، لكنه لم يخترها. والآن تنتظره امرأة أخرى.

عصفت الفوضى بحياتها لأسابيع بعد سماعها الخبر، يشرد بالها أثناء اجتماعات العمل الهامة، تنسى مفتاح المنزل بالسيارة ومفتاح السيارة بالمنزل. ثم تدريجيًا، وببطء شديد، قل البكاء والنحيب وبدأت تتقبل الوضع، عبرت المرحلة التي ظنت فيها أن الألم سوف يقتلها، واستأنفت حياتها.

أدركت أن نهرًا شرسًا يفرق بين المتحابين. نهر من الخوف، والكبرياء، والتوقعات، والشك، والتوتر، والانتظار... لديك فرصة واحدة فقط للوصول إلى حبيبك الذي ينتظر على الضفة الأخرى من تلك المياه العكرة: ثمة جسر خفي، يمكنك رؤيته فقط عندما تثق بمن تحب...

مجرد الشك أو التساؤل يمزق الأربطة التي تمسك الجسر فيصبح العبور شاقًا، وإن تمكنت بطريقة أو بأخرى من العبور، يظل أحساس بأنك غير محبوب يراودك، عندها تجرف الأمواج جسرك الوحيد، تأخذ القطع الخشبية والأربطة بعيدًا عن متناولك فتنظر إلى حبيبك وتحاول إيجاد وسيلة أخرى للوصول إليه. البعض يتقبل الهزيمة ويستسلم بينما يقفز الآخرون في الماء العكر ويحاولون السباحة، ولكن التيار لا يسمح لك بالوصول، تغرق في كبريائك وتوقعاتك، أو في خوفك وظنونك. البعض لا يستسلم أبدًا، يقضي عمره محاولًا السباحة خلال الماء المُضطرب الحالك، فهو لا يخطر بذهنه احتمالية وجود حبيب جديد ونهر يسير في مكان آخر، ليس ببعيد.

أما المستسلمون فيقضون أعمارهم متسائلين، هل كانت هناك فرصة نجاح لو أنهم حاولوا السباحة؟ سألت "آشلي" نفسها هذا السؤال مرارًا وتكرارًا في الأعوام التي تلت إنفصالهما. لكن الحياة علمتها ألا تنبش في الماضي. كما علمتها أن الذهن يزداد مع الوقت تشتتا، وأن طيفا كاملا من الألوان يمكث ما بين الأبيض والأسود، وأنها يجب ألا تتفاجأ بسهولة، وأن التوقعات المُبكرة ضارة.

في فبراير ٢٠٠١، انتقلت إلى منزل راقٍ ذي شرفة رحيبة تطل على "البوسفور". واستبدلت في العام التالي الـ"أونو" القديمة المُخلصة بـ"فورد فوكس". يتوجب عليها دفع الأقساط لفترة ليست بالقصيرة. أصبح لديها الآن دخلا جيدا وحياة جيدة، بالطبع ظل لديها الشعور بأن حياتها تفتقد شيئا ما، ولكن ألا يساور هذا الشعور الجميع؟

19

أكتوبر ٢٠٠٣

أخلت مُصادفة "عُمر" بتوازن حياة "آشلي" من جديد. ففي أول يوم تذهب إلى العمل بالسيارة الجديدة التي خصصها لها "علي كريم"، استقبلتها السكرتيرة الجديدة التي عينها لها بوابل من الأخبار.

- صباح الخير يا سيدة "آشلي"، جاءتكِ العديد من المكالمات اليوم، أنتِ مطلوبة هذا الصباح، اتصلت السيدة "نالان" مرتين، قالت أن هاتفك الخلوي مُغلق، كما قال السيد "سينان" أنه لا يستطيع الوصول إليكِ عبر الهاتف الخلوي، واتصل السيد "عُمر"، قال أن الأمر يتعلق بسيارتكِ، كما ألغى السيد "علي كريم" اجتماعا الساعة العاشرة اليوم.

ثم همست لـ"آشلي":

- مزاجه سيء اليوم، لا يخرج من مكتبه ولا يتلقى المكالمات.

ردت "آشلي" بلامبالاة:

- شيء مثير.

تعلق ذهنها بـ"عُمر"، الذي اتصل بها، لن تهتم الآن ولو احترق العالم وصار رمادا، لِم تضيع الوقت في التفكير في "علي كريم"؟ من حسن الحظ أن تمكنت "نالان" - التي اتصلت مجددًا - من تشتيتها قائلة:

- لقد تم فصلي.

- ماذا؟

- اكتشفت زوجته أمرنا.

- هل تمزحين؟

- كلا، هاتفني بالأمس وطلب مني عدم الظهور في المكتب مطلقًا.

لم تتفاجأ "آشلي"، كانت تتوقع ذلك من البداية، لا يتعلم البشر من أخطاء غيرهم، فـ"نالان" امرأة ذكية، رأت من البداية أن علاقة "آشلي" بـ"عُمر" لن تنجح، وها هي ترتكب الخطأ نفسه مُدعية اختلاف علاقتها. تمنت "آشلي" لو أن لديها مُكبر صوت ضخم لتصرخ بالعالم:

- توقفوا عن هذا الهراء، فهي نفس اللعبة.

حاولت تهدئة "نالان"، لكنها لم تجد الكلمات المناسبة، اتفقتا على المقابلة مساءً لتناول القليل من الشراب، ستضطر "آشلي" لإلغاء موعدها

مع "سينان" - صديقها الجديد المُحتمل - ليس به ما يعيبه. إلا أنها تعلم بأن تجاهلها الرجل يزيده رغبة فيها. ولكنها لم ترغب في تجاهل "سينان"، فهو رجل لطيف. كما أنه من أفضل الرجال الذين دخلوا حياتها في السنوات الأخيرة.

لم يتقابلا سوى ثلاث مرات فقط. إلا أنه نجح في ترك انطباع جيد، كانت المرة الأولى في حفل عيد ميلاد أحد زملائها في العمل، الذي لاحظ الإعجاب المتبادل بينهما، فأقام عشاءً بعد أيام قليلة لخمسة أو ستة أفراد من بينهم "سينان" و"آشلي". وذهبت في نهايته إلى السينما برفقته وتناولا البيتزا سويًا. لا تنبهر "آشلي" - باستثناء "عُمر" - بالرجال بسرعة، تحتاج لعدة أشهر حتى تقرر أن رجل ما يروق لها. لكن الأمر مختلف مع "سينان"، فقد تمكن خلال مقابلات ثلاث من جذب انتباهها....

لم يزعجها فيه سوى انفصاله عن زوجته مؤخرًا، فهي لا تعتبر ذلك أمرًا تافهًا، كانت تعلم أن المُنفصل حديثًا كالعائد من الموت: سعيد ومتحمس بشكل مبالغ فيه. وتكمن المشكلة - إلى جانب التفكير بأطفاله - في هوس المنفصل بطليقته، لذا يسقط معظم الرجال حديثي الانفصال فريسة لأكثر النساء مكرًا، بينما يعيدون التخطيط لحياتهم.

يصيب النوع الثاني من المنفصلين جنون الارتياب. فيخيل له أن كل امرأة تلقي عليه التحية، تريده. حتى أنه يخشى مغازلة أكثر النساء بساطة، فيتسكع مع أصدقائه ويقيم علاقات عابرة مع سيئات السمعة. فكل ما يستوعبه هؤلاء الرجال - حقيقة - من مقولة "تمتع بحياتك" هو

إقامة عدد لا نهائي من العلاقات. ولا يشغل أحدهم باله بطرح السؤال: ما الفائدة من إقامة علاقات عابرة طوال الوقت؟ يرهقون عقولهم فقط في إيجاد أفضل الطرق للتخلص من النساء المُملات أو القبيحات حتى قبل انتهاء العلاقة بينهم.

خشيت "آشلي" دخول "سينان" إحدى تلك التصنيفات، رغم أنه يبدو هادئا بالنسبة لرجل مُطلق حديثًا، فعادة ما يكونون متفجرين بهجة.

قضت بقية اليوم تستمع إلى النميمة المترددة في الشركة، تُذبذب الطرقات إشاعات حول طلاق "علي كريم". أهو يوم الانفصال العالمي؟

كان هذا أخر ما ينقصها، عليها أن تذهب إلى "علي كريم" وتُبدي بعض الاهتمام لتُعوض تعاطفه معها في الأزمة الأخيرة، لكن محاولتها الأولى باءت بالفشل، فلم تسمح لها السكرتيرة - وفقًا للأوامر المُشددة المُعطاة لها - بالدخول، كما لم تُخبره بانتظار "آشلي". أرسلت "آشلي" رسالة نصية إلى هاتفه الخلوي "سيدي، أنا قلقة عليك"، جاءها الرد بسرعة الضوء "أنا في مكتبي، تفضلي".

من الواضح أن "المطرقة" قضى ليلة مزرية، بدا كأنه جفف الدمع عن عينيه المنتفختين للتو. بدا بوجهه السقيم ككلب تعرض للضرب.

- مرحبًا سيد "علي كريم"، لا تبدو بخير اليوم.

- لأني لست بخير يا "آشلي"، أنا في ورطة.

جلست في المقعد أمام مكتبه. وقبل أن تفتح فمها بدأ الرجل يتكلم:

- أخذت زوجتي ابنتنا وذهبت إلى منزل والدتها، تقول إنها ستحصل على الطلاق. سأمت جلالتها مني، تقول إنها لا تستمتع بأي شيء نقوم به معًا.

لم يستطع النظر إلى عيني "آشلي" وتجمعت الدموع في عينيه من جديد، حتى ملأت تجويفهما. فجأة، حدق بـ"آشلي" وقال كمن ينتظر التأكيد على كلامه:

- كيف يمكن لشخص الانفصال لمجرد الملل؟ لا أحد يفعل ذلك.

لم تخبره أنها لا ترى سبب أوجه من ذلك للانفصال، شعرت بالشفقة على رئيسها والدموع تجرى على وجهه. كان رجلا قصيرا بدينا قبيح الوجه ومُتملقا إلا أنه رغم كل شيء إنسان.

صُدم المدير العام لحادثة هجره. أصاب الأمر كبرياءه المُنتفخ - كبرياء هرموني - بالجروح عندما قررت زوجته - التي لم يهتم بها - تركه. هكذا هم البشر، إذا ما قام شخص لم يعن لك الكثير ولم تكن لتفديه بحياتك، بهجرك، يصبح كما لا غنى لك عنه.

تقول "لم أعرف أنني أحبه بذلك القدر"، وليس الأمر حبًا في الواقع، وإنما كراهية، كراهية لفكرة هجرانك. لكن في الوقت نفسه، لمست رؤية رجل يبكي شيئًا ما في أعماقها.

شعرت كجنية طيبة بعد أن تركت "علي كريم" في حال أفضل، أفرغ

كل ما بداخله من حسرة. وتمنت لو يرد الله لها هذا الجميل.

ظهر الفضول على وجه السكرتيرة النحيفة وهي تخبر "آشلي":

- وصل السيد "عُمر"، ينتظر في مكتبكِ.

كانت أدوات التجميل التي تركتها في المكتب هي أول ما خطر ببالها، هرعت إلى حمام السيدات، كان أثر الماكياج قد زال كلية عن وجهها، ولا يمكنها التصرف الآن. كانت لتدفع أي ثمن مقابل الحصول على بودرة الوجه وطلاء الشفاه الآن. لو ظهر لها الجني الخاص بـ"علاء الدين" لأمرته دون تردد بإحضار أدوات التجميل الخاصة بها. وما هذا البنطال الذي ترتديه وذاك القميص؟ تبدو بدينة! ليتها ارتدت فستانها الجديد، كانت لتدخل الغرفة حينئذ كالملكة. لكن هذا البنطال الأزرق غير الأنيق والقميص الواسع - اشترته في عجالة - حرماها من تلك الطلة. ثم تذكرت الحذاء، لديها هذا الحذاء منذ خمسة أعوام! تبدو كإحدى عاملات المركز التجاري. ليت الهروب كان ممكنا ...

استسلمت أخيرًا لقدرها وغادرت حمام السيدات. فعلق "عُمر" حينما دخلت المكتب ضاحكًا:

- يا له من اقتحام، أفزعتني!

بدا وسيمًا كعادته، أو ربما تراه كذلك. يفترض أن يتساءل الناس عند رؤية حبيبهم السابق "هل وقعت في حب هذا؟" رغم أنهم كانوا مهووسين

به سابقًا، فلِمَ لا تشعر هي كذلك؟ أسرعت إلى مقعدها حتى لا تتيح له فرصة تفحصها.

- عذرًا، وما سبب هذه الزيارة؟

دققت فيه لعلها تجد غلطة تريحها: تعبير غبي، جورب رخيص، أي شيء أحمق. لكنه - لسوء الحظ - لا تشوبه شائبة.

- أردت أن أخبرك بخروج سيارتِك من الورشة غدًا.

- أوه هذا سريع.

أخرجت حقيبتها وبدأت تجدد بودرة الوجه وهي تقول:

- اعذرني، لكن لدي موعدا.

أعجبها أن تمكنت من الكذب.

- إذًا، أعتقد أنه يتوجب علي الرحيل.

- أنت تعلم ......

قام "عُمر" وأقترب من مكتبها، وكسا وجهه تعبيرا غير معتاد.

- تساءلت عنكِ لأعوام، أنا مدين لكِ باعتذار، اسمحي لي بدعوتكِ على العشاء في وقت قريب، رجاءً اسمحي لي بالاعتذار.

ولا من أجل شاي الصين كله! لن تسمح لـ"عُمر" باقتحام حياتها مرة أخرى بعد كل ما تغير في الأعوام السابقة. هي حمقاء، لكن للحماقة حدود. لن تتناول العشاء معه وإن كلفها الأمر حياتها.

سألها "عُمر":

- ماذا عن مساء غد؟

- حسنًا.

هل وافقت؟ لماذا؟ أليس هناك رابطاً بين العقل والفم؟

جلست بالغرفة وحدها، ويلٌ لها. تحملت في الماضي عذابها، دمرت حياتها ثم أعادت بناءها، فعلت ذلك كله قبل أن يلقي المرشدون محاضرات مُلهمة وقبل تأليف كتاب "الراهب الذي باع سيارته الفيراري".

أنهت العلاقة التي سببت لها كل الجروح. وها هي تسمح - رغم ذلك - لـ"عُمر"، كالحمقاء، بالدخول إلى حياتها مرة أخرى. لقد حققت النصر العظيم على نفسك، لكنك الآن وبالمثل تضعين نفسك في معاناة أشد من ذي قبل. يقول أنه يريد الاعتذار لها، عن ماذا؟ عن عدم تركه لزوجته؟ عن تركه إياها تنعزل؟

تمتمت وهي تشاهد الدخان المتصاعد من سيجارتها:

- لم تحبني قط.

وتساءلت في داخلها إن كان لوم "عُمر" أمرًا واجبًا، فكيف يمكنك لوم شخص لأنه لم يحبك بقدر كافٍ. لم يحبها "عُمر" سوى بقدر ممارسته الحب معها، لم يضح من أجلها، لم يُخلص لها، كما حافظ دومًا على مسافة بينهما. كان العالم مليئًا بهؤلاء الأشخاص، الذين يهوون أحباءهم دون التفكير في الانفصال عن أزواجهم. وسيقف أحدهم الآن أمام "آشلي" ويعتذر، كأن هناك اعتذارا عن الحب بشكل غير كاف، أو أن الاعتذار سيداوي إحساسها بأنها لم تُحب.

20

رأت "نالان" تبكي لأول مرة، كانا في طرف بعيد من البار، وعندما لم تتمكن "نالان" من السيطرة على دموعها، وجهت ظهرها للباب وبكت. كانت الساعات الأولى من المساء، ويتواجد في المكان عدد قليل من الزبائن. ظلت "نالان" تعبث بكأسها ويدها ترتعش من الغضب بينما تشتكي دون توقف:

- الحقير، يفصلني عندما تعطيه الأمر، إن الرجال أوغاد، لم تكن امرأة لتفعل ذلك أبدًا. قال أنه يحبني وأن زواجهما مُنتهى، وصار وضعي مأساويا بسبب تلك المرأة، اللعنة على الرجولة، لكنني سألقنه درسًا، فليتوقع ضررا جسيما.

- لا تثرثري بكلام بلا معنى، وما الداعي للانزعاج؟ يمكنكِ إيجاد وظيفة جديدة، انسيه فقط، دعيه لزوجته، هذا أشد عقابا.

خشيت أن تقوم "نالان" بعمل متهور وتثير فضيحة، لم يكن ذلك من طبيعة "نالان" إلا أنها ليست في حالتها الطبيعية اليوم.

توقفتا عن الحديث بينما يعيد النادل ملء الكؤوس. تكاد "نالان" أن

تنفجر غضبًا، ظلت تتمتم وفي عينيها نظرة شاردة غاضبة وكلما تكلمت كلما زاد انفعالها. استخدمت كلمات من خارج قاموسها، صحيح أنها كانت تردد بعض الكلمات غير اللطيفة أحيانًا، لكنها الآن تتحدث كامرأة متدنية المستوى.

- وقعت إحدى رسائلنا في يد تلك الشمطاء، الغبي، نبهته أكثر من مرة أن يمحو الرسائل فور إرسالها لي، اختلق آلاف الكذبات لكنها لم تقتنع. سأرسل لها في المقابل صورًا لزوجها العزيز وهو يستحم، ذلك شيئًا لن تنساه. يجب أن يكف هذا المدعو "حسن" عن التلاعب بقلوب النساء. أخرجت هاتفها الخلوي وأبرزت لـ"آشلي" صورة لـ"حسن"، ألقت "آشلي" نظرة على الصورة وسرعان ما ندمت، كان الرجل عاريًا بالكامل.

أضافت "نالان":

- كما أن لدي صوره في الفراش، وصوره في "ميلان" ممتازة، في الواقع لا يمكن استنتاج مكان الصور، لذا سأضيف بعض العبارات التوضيحية. زرنا كل معرض معًا ... كان يسبقني وألحق به في نهاية الأسبوع حتى لا نثير الشبهات.

شعرت "آشلي" بالخوف من نظرة "نالان"، بدا عليها الاستعداد لارتكاب أية حماقة. تحولت صديقتها الرزينة إلى قنبلة موقوتة. سألتها "آشلي":

- لكن ماذا ستجنين؟ ما العائد؟

صرخت "نالان" بها وهي تمسح دموعها:

- وماذا كان العائد عندما قمت بالهروب والاختفاء كالحمقاء؟ هل كرمكِ أحدهم وأهداكِ ميدالية؟

- ربما لم أكسب شيئًا، لكني - على الأقل - لم أفقد احترامي لذاتي. قامت المرأة بفصلك لإقامتك علاقة مع زوجها. وبعبارة أخرى، أنت لستِ ضحية القدر. واختارها الرجل لأنه يحبها أكثر من حبه لكِ، هذا كل شيء. هل ستنتقمين منه لأنه لا يحبك؟ يجب أن تشعري بالسعادة، فعلى الأقل تعرفين الحقيقة الآن. وإلا لاستمر في خداعك وإيهامك بحبه لك.

التفت إليها الجالسون إلى البار، وانهارت "نالان" مرة أخرى:

- أنا واثقة من حبه لي، اقرئي الرسالة التي أرسلها لي قبل مجيئي إلى هنا. قال "أحبك أكثر من أي شخص، لكن تفسير ذلك الوضع لابني شيء مستحيل".

اطلعت "آشلي" على الرسالة.

أرادت القول إن هذا ليس بهاتف بل هو صندوق "باندورا"، إلا أنها اختارت الصمت عندما لاحظت التعبير البائس على وجه "نالان"، تنظر "نالان" إليها كأن قدرها كله يعتمد على الكلمات التي ستخرج من فم "آشلي" في تلك اللحظة. إذا قالت "آشلي" "بالطبع يحبك" ستؤمن "نالان" بحب "حسن" لها، من الصعب إخبار شخص بائس بالحقيقة. لم يكن لديها الشجاعة لتقول إن هناك من ينهون زواجهم من أجل الحب،

وأن "حسن" يحاول فقط أخذ الحيطة كي لا تقوم "نالان" بفعل متهور. أرادت أن تدعو الرجل بالكاذب القذر ولكنها ابتلعت الكلمات. كيف يمكن لمن يحب ترك حبيبته تعاني فقط كي لا يزعج ابنه؟ ماذا سيقول له عندما يكبر؟ هل سيقول (اسمع يا بني، إن كان لديك طفل فتحمل المرأة التي لا تحب وأكمل حياتك معها بشكل غير سعيد)؟

- هيا توقفي عن البكاء، فسيصل "علي كريم" في أي لحظة.

قامت بدعوته - لسبب غير معلوم - قبل مغادرتها المكتب بلحظات، خطر لها أنه و"نالان" قد يتبادلا الإعجاب. ثم أدركت استحالة إعجاب "نالان" بشخص قصير وبدين مثله. لكن وجود شخص ثالث سيخفف - على أية حال - من حدة الموقف.

- تبًا، هل قمت بدعوة ذلك الممل؟ لست في مزاج يسمح بتحمل الغرباء.

- لا داعي للمبالغة، سيكون التحدث إلى شخص جديد أمرًا مسليًا.

ابتسمت "آشلي" ابتسامة عريضة ثم ألقت نظرة سريعة على المدخل فرأت "زيرين"، (اللعنة) حدثت نفسها، ثم همست لـ"نالان":

- يا لسوء الحظ! "زيرين" هنا.

كانت برفقة "زيرين" امرأة مبالغة في عمليات تجميل الوجه، ورغم جلوسهما على منضدة بعيدة إلا أن جهاز استشعار "زيرين" أدرك وجود "آشلي" و"نالان" على الفور. اكتفت بالتلويح لصديقتيها حيث ما تزال

الأجواء غير صافية منذ خلافهما الأخير، سينتهي ذلك الوجوم قريبًا ويعود الود. لكن الحصول على إجازة من "زيرين" بين كل حين، أمرًا جيدًا.

أقسمت "زيرين" أنها عندما صادفت "عُمر" في مول "أكمركيز" منذ شهور دردشت معه لخمس دقائق فقط. تبادلا حديثا صغيرا وذكرا "آشلي"، لكن لفترة صغيرة. لم تُخبر "نالان" أو "آشلي" بتلك الواقعة خشية جرح مشاعر "آشلي" - أو هكذا أدعت. تدرك "آشلي" أنها كذبة كبيرة، لم تكن "زيرين" لتقاوم رغبتها في النميمة مراعاة لمشاعر الغير، كما أنها لم تكن أبدًا متحفظة في الكلام. لابد أن أحدهم أخبر "زيرين" أنها ستلقى حتفها إذا توقفت عن الحديث ونقل الأخبار.

كانت "آشلي" متأكدة من نقل "زيرين" لإخبارها إلى "عُمر"، ثم أدركت خطأها فارتعبت وامتنعت عن إخبار "آشلي" و"نالان". بدأت "زيرين" تهمس في أذن ملكة التخدير الجالسة معها، لابد أنها تخبرها بأمر "آشلي" و"عُمر"، ليس من المُستبعد أن تحكي لها الأمر برمته. كان لـ"زيرين" قاعدة بسيطة في الحياة "أقرب شخص إليك، هو الجالس إلى جوارك" ستفرغ ما لديها من معلومات في أقرب أذن مُتاحة. لم تحافظ مطلقًا على أسرار أصدقائها أو حتى أسرارها الخاصة.

مالت "آشلي" على "نالان" وقالت:

- لابد أنها تتحدث عني الآن.

لم تتوقع رد فعل "نالان" التي كانت في حالة نفسية مضطربة. فقد

صرخت "نالان" بأعلى صوت:

- "زيرين".

وعندما نظرت إليها "زيرين" وكل من بالمكان أكملت:

- توقفي عن نقل الأخبار.

ضحك الجميع فشحبت "زيرين" من رأسها وحتى إصبع قدمها، وأشارت بيدها علامة على كون "نالان" مجنونة. شعرت "آشلي" بالخجل فأعارت كامل اهتمامها لنصف الليمونة السابحة في شرابها وتمنت لو تنتهي هذه الليلة.

ظلت "آشلي" تخطئ وتظن أن كل قادم هو رئيسها حتى كادت تلوح لامرأة قصيرة الشعر، أطول من "علي كريم" بأربع أقدام. وعندما وصل "المطرقة" كانت كلا منهما قد تناولت كأسي شراب، وتوقفت "آشلي" عن النظر تجاه الباب.

سارت الأمور أفضل من توقعاتها، لم تكن "نالان" حادة معه، خفف عنها – غالبا – إدراكها لوجود بائسين آخرين في العالم. لم تضطرب الأجواء رغم قول "نالان" لـ"علي كريم" أكثر من مرة أن لزوجته - على الأرجح - عشيق سري. نبذ الفكرة وعاونته "آشلي" على ذلك، رغم ترجيحها فكرة "نالان" داخليًا.

تعجبت من تعامل "نالان" الشديد الواقعية مع الآخرين بينما تغوص

هي في تخيلاتها. حتى أن "آشلي" اضطرت لتوبيخها عند انتقادها "المطرقة" دون داعي قائلة:

- دعي الناس تؤمن بما يريدون، ألا ترين أنكِ تصرين أيضًا على الاقتناع بأن "حسن" ما زال يحبك؟

بدلًا من أن تغضب "نالان" ابتلعت مشروبها وردت بثقة:

- لكنني أعلم أنه يحبني، أنا واثقة.

فجأة، شكت "آشلي" في رأيها، فلعلها تريد التصديق بأن ما جرى لها هو نفسه ما يجري لصديقتها.

لعن "علي كريم" قدره فشاركته "آشلي"، بينما كانت الشكوك التي ظهرت مجددًا تتضخم بداخلها. ستحب رؤية "حسن" يتخلى عن كل شيء ليكون مع صديقتها ولكن هل ستأكلها غيرة داخلية؟ إن حصلت "نالان" على هذا الحظ السعيد فعلى الأغلب ستشعر "آشلي" بوحدة أكبر. "الإكثار في الشراب جعلكِ شديدة الحساسية" حدثت "آشلي" نفسها. ثم نظرت إلى صديقتها فملأت الدموع عينيها، بدت "نالان" بائسة، أرادت احتضانها.

قالت "نالان":

- اتركيني. أكره أن يُلقى السكارى بأنفسهم علي.

فعلق "علي كريم":

- ولكنني أحب ذلك، يمكنكِ احتضاني.

لو سمعت هذا التعليق من رجل جذاب لضحكت، لكن عند صدوره من شخص له رأس أكبر من جسده لا يمكنك حتى الابتسام.

- أشكرك ولكنني سأرحل الآن.

سقطت "آشلي" في مقعدها فور وقوفها. شعرت كأن عقلها انكمش إلى حجم حبة بازلاء تتخبط في حوائط رأسها الداخلية.

- اوووو أنا سكرت.

لم تعلم ماذا تقول. ضحكت "نالان" والتقطت حقيبتها ثم أمسكت بذراع صديقتها قائلة:

- هل نسيتِ؟ سأقضي الليلة عندك. هيا لنأخذ سيارة أجرة.

لم تتذكر "آشلي" هذا، لكنها لم تعلق حتى لا تجرح "نالان". أصر "علي كريم" على توصيل السيدتين إلى المنزل. وأدرك جميعهم في السيارة أن الشراب تمكن من "المطرقة" كذلك. وبعد توقفهم أمام منزل "آشلي" أرادت أن تنحني شكرا لله على وصولهم بسلام، أما "نالان" فتقيأت في سلة المهملات أمام المبنى.

جرفت "آشلي" عاصفة من الطيبة فأخبرت "علي كريم" بخطورة القيادة في مثل حالته وألحت عليه أن يقضي الليلة في منزلها.

ندمت على ما قالت فور صعودهم إلى الشقة. أعطته غطاءا وتي شيرت مطبوع عليه كلمة " المالديفز". وتساءلت ما ذنب أريكتها البيضاء الرقيقة حتى تحكم عليها بهذا العقاب.

أزعجت الكوابيس "آشلي" طوال الليل، كانت شديدة التوتر، أولًا لخوفها من لقاء "عُمر" في اليوم التالي، وثانيًا بسبب النزلاء الغير مرغوب فيهم المقيمين بمنزلها الليلة. رأت في أحد الكوابيس "چوليد" تمارس الحب مع "عُمر"، ويملأ المكان حولهما سائل أبيض ذو رائحة كريهة. استيقظت مُتعرقة والرائحة لم تزل تملأ أنفها، فنثرت بعض العطر على كفيها واستنشقته.

21

استيقظت مرة أخرى على أصوات قادمة من المطبخ. تذكرت موعد المساء مع "عُمر" فاضطرب قلبها. لِمَ قبلت دعوته بتلك الحماقة؟ اعتادت الخروج مع رجال لا يثيرون حماسها لأعوام حتى تتخلص من ذلك الشعور الغريب الذي ظننته خاص بالأعوام الأولى من عشرينات العمر، وتساءلت كيف يبقى المغرمون على قيد الحياة، فالعلاقات الخالية من الشغف، أفضل للصحة بلا شك. ويمكنك دائما الركض قليلًا كل صباح، إذا أردت الشعور بتسارع دقات قلبك. ارتدت بنطالًا رياضيًا وتي شيرت وذهبت إلى المطبخ، وجدت هناك "علي كريم" يبحث في الأرفف. بدا بعينيه المنتفختين من النوم أشد قبحا. لم يكن النوع الذي تحب رؤيته في منزلك صباح يوم السبت، بدا بعد ارتدائه التي شيرت الذي أعطته إياه على بنطال البدلة، كبقعة ضخمة في مطبخها. رأت الآثار الرطبة لقدميه الحافيتين على أرضية المطبخ فشعرت برغبة في التقيؤ. وضعت ابتسامة جوفاء على وجهها وصرخت محاولة إفزاعه:

- صباح الخير.

أصابه الفزع بالفعل. ثم قال:

- صباح الخير، كنت أحاول إعداد الفطور للسيدتين الجميلتين.

- إذًا كان عليك التوجه إلى البقالة المجاورة وشراء شيئًا يُأكل، فليس في هذا المنزل ما يُطعم سيدتين جميلتين. وهناك مخبز كذلك.

شعرت ببداهة رفع التكليف طالما أنه في منزلها.

- حسنًا، سأوقد الغلاية ثم أُسرع إلى هناك. استعدي لوليمة.

لا تتناول "آشلي" وجبة إفطار عادة لذا لا تجد في مطبخها مأكولات الصباح المعتادة مثل الزيتون والنقانق، بينما يوجد لديها كل أنواع الأطباق الفاخرة الأخرى التي لا تناسب الصباح.

شعرت بالسعادة لتخلصها من "علي كريم"، فأسرعت إلى غرفة "نالان" وفتحت جميع الستائر. كانت هذه غرفة الملابس الخاصة بها، لكنها وضعت سريرا إضافيا بها تحسبًا لليالي المماثلة، حيث يفرض ضيفًا ما نفسه ويبيت الليلة في منزلها. فتحت "نالان" عيناها على مضض، تمتمت بضع كلمات غير مفهومة ثم أغلقت عينيها. كانت الخطوط السوداء تلطخ خدها، يبدو أنها لم تزل مكياجها قبل النوم.

- هيا استيقظي، علينا التخلص من هذا الملل في أسرع وقت ممكن.

- حسنًا، سأفيق في خمس دقائق.

كادت "آشلي" تغادر الغرفة فاقدة الأمل، إلا أنها لاحظت الجوارب المُلقاة على الأرض. كان لـ"نالان" قدمين فقط. مما يعني أنها لن ترتدي زوجين من الجوارب. سحبت "آشلي" الغطاء بشراسة وقالت بضيق:

- قلت لكِ أفيقي الآن.

ثم تركت الغرفة. ذهب "علي كريم" إلى البقالة بالفعل. تساءلت عن الكيفية التي وضع بها قدميه الرطبتين في حذاءه دونما الجوارب. كل ذلك خطأها. كان يجب ألا تدعوه للخروج معها وصديقتها بالأمس. ها قد صار جزءا لا يتجزأ من حياتها وغرفة معيشتها. كان أكبر آمالها ساعتها أن يكون "علي كريم" مجرد علاقة عابرة بالنسبة لـ"نالان" لا تريد حتى تذكرها، تمنت كذلك ألا تنجذب مشاعرها لـ"عُمر" تلك الليلة، وأملها الأخير كان: أن تقوم باختيار الفستان الملائم لهذه الأمسية.

أخذت "آشلي" حمامًا وجففت شعرها، ثم عادت إلى غرفة المعيشة لتجد بانتظارها مائدة إفطار رائعة. لم يبخل "علي كريم" هذه المرة. ما تزال "نالان" مختفية لكن شهية "آشلي" كانت مشتعلة.

- واو، إنها وليمة مذهلة.

أرادت أن تضيف "حسنًا فلترحل الآن وتتركني أستمتع بهذه الوليمة مع صديقتي" لكنها أحكمت غلق فمها.

قال بتفاخر وهو يتفحص المائدة:

- كما أنني طاهٍ ماهر.

وأضاف:

- اتصل شخص يدعى "سينان"، قال أنه سوف يتصل مرة أخرى.

وقفت "آشلي" مذهولة وصرخت به دون وعي:

- هل أجبت على هاتفي؟

- آسف. لم أقصد أي أذى.

- عظيم، والآن الشخص الوحيد، الذي رأيت فيه بارقة أمل بعد عدد من السنين يعلمه الله، يظنني إحدى سيئات السمعة.

انهارت "آشلي" رغم أسف "علي كريم" المتكرر، جلست على الأريكة وأشعلت سيجارة. كان "سينان" قد سألها بوضوح في العشاء الأخير إن كان لديها حبيب وأجابت بالنفي، فماذا سيظن بها الآن وقد أجاب هاتفها رجل غريب في صباح يوم السبت؟ لا تستطيع المجازفة بخسارة "سينان" خاصة في اليوم الذي ستتناول فيه العشاء مع "عُمر"، فلن يكون لديها حينئذ خط دفاع. طلبت هاتف "سينان" وعندما أجاب قالت بصوت مرح:

- مرحبًا.

- مرحبًا.

لم يبد صوته دافئ كالعادة.

- أتود المجيء لتناول الإفطار معنا، قضى اثنين من أصدقائي الليلة هنا، وقد قاما بإعداد إفطار شهي.

- في الواقع كنت أتصل لأدعوكِ لتناول الإفطار معي في "ينيكوي".

استعاد صوته الدفء المعتاد. مرحى!

- هيا فلتنضم إلينا، ليس منزلي ببعيد عن "ينيكوي".

أغلقت الهاتف وأمرت "علي كريم" و"نالان" التي سحبت نفسها خارج السرير أخيرًا:

- صديقي المستقبلي آت، يُستحسن أن تتظاهرا بأنكما حبيبين.

اعترضت "نالان":

- الآن تتفوهين بكلام فارغ.

قطبت حاجبيها وهي تخص "نالان" بالحديث:

- لا أعتقد أن ذلك سيكون صعبًا بالنسبة لكِ، ولتحضرين جوارب "علي كريم"، ربما يريد ارتداءهما. رأيت جواربه ملقاة على الأرض بجوار سريرك.

22

كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها "سينان" نهارًا، بدا حقيقيًا، بعيدًا عن أضواء الليل، جسده متناسق ومظهره أنيق، له شعر بني قصير وملامح وجه واضحة. كما أن له أكثر الشفاه جاذبية من بين الرجال. كلما تفحصته كلما ازداد وسامة. اعتادت أمها القول:

- لبعض الناس تأثير ينمو تدريجيًا.

كانت تقول ذلك عن النساء، فلم تكن من عادة أمها التحدث عن الرجال. لم تستطع "آشلي" مقاومة ملاحظة تغير تعبيرات وجه "سينان"، أثناء جلوسهم جميعًا بأريحية في غرفة المعيشة، كان مرحًا بسيطًا، أزال وجوده الارتباك عن جو هذا الصباح العجيب. حتى وجود "علي كريم" لم يعد يزعجها. ووجدت نفسها تتساءل بعد ساعة إن كانت ستحبه. حاولت تجاهل الفكرة إلا أنها فشلت، فعندما تحاول مقاومة فكرة ما، فإن تملكها من ذهنك يزداد قوة. كان لديها - في الإعدادية - مدرس لغة ألمانية قصير ونحيف ذو يدين صغيرتين ونظارة، وخصلات شعر رمادية. تخيلته مرة يركض عاريًا على أطراف أصابعه، ثم ظلت

لعام كامل تقاوم تلك الصورة التي تراود ذهنها كلما رأته.

أدركت "آشلي" بعد رحيل "علي كريم" و"نالان"، أنها لم تفكر بـ"عُمر" خلال تلك الساعات. يا لها من معجزة! توقعت بالأمس قضاء نهار السبت في قضم أظافرها قلقًا. كانت نبضات قلبها ما تزال سريعة، لكن لسبب آخر...

- لأول مرة نتقابل أثناء النهار، أليس كذلك؟

لم تشأ الاعتراف بورود نفس الفكرة على بالها، وقالت بدلًا من ذلك:

- أنت محق ...

جلست على الكرسي المقابل له، فاجأها قائلًا:

- أشعر بالإحباط؟

- لماذا؟

- اتضح لي أن تألقك لا يخص المساء فقط.

اطمأنت "آشلي"، وتنفست الصعداء. فلا شيء أكثر إزعاجًا من رجل يخبر صديقته أنه لم يعد ينجذب إليها جسديًا، وقد صار – مؤخرًا - لدى الرجال جرعات مفاجئة من الصراحة الغير مطلوبة. ستفتقد النساء الرجال المعتادين على المكر بقول بعض الأكاذيب الساذجة مثل

"تستحقين رجل أفضل مني" أو "أخشى من الارتباط وفقد حريتي".

- تلك ملاحظة رقيقة، أشكرك.

- في مثل هذه الأيام، لا يمكنك التعرف على سيدة قابلتها في البار مساءً! بمجرد حلول الصباح. يبالغن في زينة الوجه والشعر والملابس، يرتدين حمالات صدر من النوع الذي يضاعف الحجم، يضعن طلاء شفاه ممزوج بالسيليكون، ويركبن زيادات لإعطاء شعرهن طولًا زائفًا.

لم تحبذ "آشلي" إجراء هذه المناقشة المبتذلة، لكنها قررت إعطاء الرجل ذو الشفتين الجذابتين فرصة أخرى:

- حسنًا ليس ذلك سيء كليًا، فقد كان لديكم أنتم الرجال - في الماضي - عدد أقل من النساء لتلهثوا ورائهن.

قهقه "سينان" قبل أن يحدق بـ"آشلي" معلقًا:

- هل تتعجلين الزواج كذلك؟

اتسعت عيناها:

- ماذا؟ لِمَ تقول ذلك؟

تملكها الخوف من أن يكون مغفلًا! فأسرت دعوة لله ألا يكون كذلك وأجاب الله دعوتها.

- لأنكِ تعلقين زهرة قرنفل في قلادتكِ.

نظرت إلى قلادتها، اشترتها الصيف الماضي من "بودروم". قلادة مُرصعة بأحجار كريمة زرقاء وزهر قرنفل.

- وماذا في ذلك؟

- هناك حيث نشأت، تعتاد الفتيات في سن الزواج ارتداء قلادات ذات زهور قرنفل حقيقية.

- حقًا؟ وما السبب؟

- أعتقد أن الأمر يتعلق بالهرمونات والعطور، سمعت أن الفتيات المقبلات على الزواج يخلعن ملابسهن بالكامل -عند ذهابهن للحمام التركي - ويبقين على القلادة حتى تخترق رائحة الزهرة جلودهن.

ملأ المكان الفضول، تظاهرت بعدم ملاحظة نظرات "سينان" المتقدة وسألته:

- ماذا عن الفتيات اللاتي لم يبلغن سن الزواج بعد؟

- يرتدين بذور مختلفة.. هذا - في الواقع - من أثر حياة الرحالة، لم يكن باستطاعتهم الاستقرار في مكان واحد لمدة طويلة لذا كانوا يعلقون البذور الثمينة في رقاب الفتيات الصغيرات، حتى يتمكنوا من نقلها معهم أينما ذهبوا.

جذب الموضوع اهتمام "آشلي"، اتجهت إلى المطبخ لتعد القهوة التركية وسألته:

- وماذا ترتدي المرأة بعد الزواج؟

لكن الرد لم يأت من غرفة المعيشة، بل أتى من خلفها مباشرة، ضمها "سينان" وهو يجيب:

- تستمر في ارتداء القرنفل حتى تنجب، ثم تتحول إلى ارتداء بذور الحلبة، وقبل أن تبتعد عن طفلها تُعلق القلادة برقبته حتى يظن أن أمه لا تزال بالقرب منه.

بينما يتحدث تملكت منها رغبة عارمة تجاهه، شعرت ببارقة أمل. أمل في حب جديد. حاولت التعلق بهذا الشعور ليحميها من "عُمر"، فالحب الجديد وحده يستطيع محو آثار سابقه، تحمست للأمر، لن يستطيع أحد تفهم شعورها إلا من سبق له أن وقع في الحب ثم خسره. سعادة التخلص من العبء الذي حملته على ظهرك لأعوام، والإحباط الذي أصبح جزءًا منك. نزف جرحها لسنوات عدة، حتى صار مجرد الأمل في التئامه كافيًا لجعل قلبها يرقص فرحًا. رغبت في الحب من جديد، بكامل قلبها، في ممارسة الغرام بكامل أحاسيسها، ضمت "سينان" وعيناها تلمعان.

ممارسة الحب مع شخص لا تحب وتعلم أنك لن تحب، تشبه البقاء واعيًا بينما كل من حولك سكارى. كانت "آشلي" في الثالثة والثلاثين الآن وتعلم جيدًا أن ممارسة الحب وحدها لا تسكرك، تحتاج لمزجها مع الحب

نفسه حتى تصبح ثملًا فتنسى. وتريد "آشلي" في تلك الظهيرة أن تثمل. أطفأت المقود وتركت المطبخ وهي تأمل ألا تتحطم أحلامها. في هذه اللحظة لم يكن لديها صبر على العادات الغريبة، لطالما خشيت الدخول في علاقة مع رجل ذي رغبات غريبة الأطوار، كلعق أنفها، أو التحدث كفتاة صغيرة. لم يحدث معها ذلك من قبل رغم حدوثه مع أصدقائها. فقد تعرفت إحدى صديقاتها على حبيب يتلفظ بعبارات بذيئة باستمرار أثناء ممارسة الحب، وآخر يستخدم صوت نسوي أثناء ذلك. لذا أسرت دعوة أخرى: أن تمارس حب تقليدي هادئ وبسيط، لا ترغب في شيء خاص أو مميز أو صادم ... فقط حب رقيق.

عندما استيقظا كان الظلام قد حل، تفحصت الساعة، أمامها ثلاث ساعات حتى موعد "عُمر"، لم تشعر برعب أو اضطراب، كل ما أرادته كان البقاء هنا بين ذراعي "سينان". لكن تملكتها في الوقت ذاته رغبة قوية في مقابلة "عُمر". أن تجلس أمامه دون أن تطرف لها عين، دون أن تشعر ببقايا حب تجاهه.

سألها "سينان":

- هل لديك خطط لهذا المساء؟

- للأسف، اتفقت منذ فترة على تناول العشاء الليلة مع أحد الاصدقاء.

لم ترغب في بناء علاقتهما على الأكاذيب، لكن لم يكن هناك ما يمكن إخبار "سينان" به.

- من الصديق؟

- إنها قصة طويلة، كان حبيب خالتي.

اختارت – كعادتها – أسوأ كذبة، والأسوأ أن ذلك أثار اهتمام "سينان".

- شيء مثير... لم يكن لدي حبيب خالة من قبل، أليس للخالات عادة أزواج؟ وماذا يريد منكِ حبيبها السابق؟ أيريد العودة إليها؟

- لا يمكنه ذلك فخالتي توفيت منذ وقت طويل، حوالي سبعة أعوام.

- آسف، إذًا يتم هجري الليلة من أجل رجل مسن.

لم تعلق "آشلي". تظاهرت بالبحث عن شيء تحت الأريكة. تحتاج لإخفاء احمرار وجهها، وهكذا سيظن أن الانحناء هو سبب الاحمرار، تعلمت الكثير من الخدع عبر السنين لإخفاء احمرار وجهها وكانت تلك هي طريقتها المفضلة.

- هل وقع منكِ شيء؟

- كلا، ظننتني رأيت بقعة في السجادة، لكن يبدو أنه أثر الضوء.

اعتدلت وابتسمت لـ"سينان" بوجه أحمر اللون.

23

تركت سيارتها على مسافة من المطعم كي تتمكن من السير في الهواء العليل قليلًا. ورغم أن ضاحية "بايوجلو" ليست مثالية للتسكع، إلا أن شيئًا من الهواء المنعش سيفيد. تشعر عند اختلاطها بالمارة في شارع "الاستقلال" كأنما يجرفها تيار - دائمًا يذهلها الكم الهائل من المتسكعين في هذا الممشى - تحتاج هناك إلى مهارة خاصة لتسلك طريقك دون الاصطدام بالآخرين. تسللت الموسيقى المنبعثة من شارع جانبي إلى أذنها، ثم عبرت سوق السمك فشعرت بمرح يتناسب مع مرح الشارع من حولها.

خطت خطوات مرحة نحو وجهتها، كان يمكنها سماع المدينة تتنفس إن أغلقت عينيها.

لم تشعر بهذه القوة وهذه السعادة منذ أعوام، انقضت أيام خوفها من لقاء "عُمر" أو السماع عنه. كانت تهرب من "عُمر" كالمخبولة لسنين، لكن لكل شيء نهاية. ما الحياة إلا سلسلة من الأوهام. لا وجود للجيد أو السيئ، كل شيء يعتمد على نظرتك للأمور وتعاملك معها. عندما تغير سلوكك تجاه الحياة يتغير كل شيء: يتحول الجيد إلى سيء، أو تبدو الأخطاء كاختيارات صائبة. ما بدا ضخما

وأنت تتأمله من مكانك يصغر حجمه كلما ابتعدت عنه.

لا تتغير الأشياء وإنما تتغير نظرتنا إليها. سيكون لك وجهة نظر مختلفة تمامًا إن كنت صديق حبيبة أحدهم أو كنت صديق زوجة أحدهم. ربما تبكي تعاطفًا مع شخصية في فيلم، لكن إن قابلته في الحقيقة فربما يثير سخطك. ولن يبدو لك الحبيب القديم جذابًا كما اعتدته حال دخولك علاقة جديدة. تتغير الأضواء بينما لا تتغير أنت، أو الشخص الذي تنظر إليه. فالموت شيء مُحزن، لكنك لن تحزن لو كنت تكره المتوفى. وإذا نظرت إلى الأمر من وجهة نظر الديدان، التي سوف تأكله، فالموت شيء عظيم.

عجز الجميع عن رؤية الموقع المحدد للآخرين أو لأنفسهم، أمرًا مزعجًا. فحاضرنا وماضينا، أحلامنا وإحباطاتنا، أحزاننا ونقصنا، يسحبوننا للأمام وللخلف طوال الوقت، ليس هناك شيئًا جلي أو مطلق، كلنا ضائعون.

دخلت المطعم في طمأنينة، لم ترتعش قدماها أو يشتد ضخ الدماء إلى رأسها. كل ما تريده هو تجربة شعور اللامبالاة تجاه "عُمر"، ثم ستترك المكان وتبدأ حياة جديدة مع "سينان".

يملأ المكان أشخاص متأنقين، عبرت البار المكتظ، وكان "عُمر" هو أول من وقعت عليه عيناها فور دخولها منطقة المطعم. كان يجلس على طاولة لشخصين، بجوار النافذة، يحدق بالطريق. بدا وكأنهما لم يفترقا مطلقًا، كأنها كانت معه هذا الصباح. أدار رأسه فجأة والتقت عيونهما، لوحت له "آشلي" واقتربت تتبختر مرفوعة الرأس.

قبل خدها وهو يعلق:

- تبدين جميلة، لقد أحسنت الأعوام إليكِ.

- يجب أن تراني في السبعين.

جلست على المقعد الأبيض، اشتاقت - رغم هدوء أعصابها - لإشعال سيجارة.

- خشيت اختلاقك الأعذار في اللحظة الأخيرة للتهرب مني.

- لِمَ أفعل ذلك؟ ها أنا هنا أتناول العشاء مع صديق قديم.

- كلانا يعلم أننا لسنا هنا لتناول العشاء مع صديق قديم.

قاومت "آشلي" الغضب الذي بدأ يشتعل داخلها. أصبح هذا الرجل أكثر جرأة بمرور السنين. انتظرت ريثما يصب النادل نبيذهما لتكسب بعض الوقت. ثم قالت:

- دعني إذًا أعيد صياغة الجملة، أنا هنا لأتحدى صديق قديم.

مال "عُمر" نحوها وهمس:

- في هذه الحالة دعيني أنصحك، إذا أردت تحدي رجل فلا تخشين النظر إلى عينيه.

رفعت "آشلي" نظرها عن صحنها الفارغ وقابلت عينيه الجامدتين.

24

- سمعت بانفصالك عن "داليا" وتزوجك أخرى، من صاحبة الحظ السعيد؟

ارتشفت نبيذها وأسندت ظهرها إلى المقعد. لم تريد سماع الإجابة حقًا كل ما أرادت هو أن تحيا في عالم ليسِ لـ"عُمر" به وجود.

- "طوبى"..

- من هي؟ ماذا تفعل؟

- تعمل ببنك، ماذا تريدين أن تعرفي غير ذلك؟

رأت توتر "عُمر" وأعجبها ذلك.

- لا أعلم، أي شيء.. كيف تقابلتما؟ أين تم الزواج؟ هل حياتك سعيدة؟ الأمور المعتادة التي يسأل المرء عنها.

- ليس هناك الكثير لأخبرك به. استمر الزواج لثلاثة أشهر فقط.

ثلاثة أشهر! لقد استمر نحيب "آشلي" نصف عام عندما علمت بالأمر.

- حقًا؟ لماذا؟

- هل يمكننا التوقف عن مناقشة هذا الأمر؟

- هل جرحت مشاعرك؟

- كيف يمكن أن تجرح مشاعري بحق الله؟ لا أتذكر وجهها!

- حمدًا لله على تذكرك وجهي في الورشة.

أدركت "آشلي" أنها تسبح في مياه خطرة، ابتسَمت لـ"عُمر"، لكنها لاحظت نظرته إليها. هذا التعبير البادي على وجهه مألوف لها، في الماضي عندما كان ينظر إليها هكذا كانت تشعر أنه يحبها أكثر من العالم برمته. كان ينظر إليها كأنه يراها لأول مرة. كأن العالم توقف من حولهما وكأنها أجمل ما رأت عيناه.

- لم أنس وجهك أبدًا، ولا حتى لثوان.

شعرت في هذه اللحظة بأول دموعها تنساب على وجهها لتصل إلى صحنها، ولحقت بها البقية، ملايين من الأقوال حلت بذهنها لكن كان فمها مُحكم الغلق. استجمعت صوتها أخيرًا بعد نهر من الدموع وسألته:

- لِمَ؟

- لِمَ ماذا؟

- لِمَ نزعج أنفسنا الآن بالحديث عن الماضي؟

- لأنني أريد العودة إليكِ.

- بعد سبعة أعوام؟

- لطالما أردتك، لكنك كنتِ دائمة الهرب.

- ألا تذكر؟ قلت أمام الجميع أنك لن تترك زوجتك من أجلي، ماذا كان علي أن أفعل غير الهرب؟ أكان علي قضاء بقية العمر عشيقة لك؟ وهل يجب الآن أن أقفز من مكاني وأضمك لمجرد أنك تقول إنك تريدني؟

- أجل.

- حسنًا، يجب أن نخطط لحفل زواج كذلك، وعليك أن تقوم بشراء خاتم من الألماس..

- سأفعل.

- أنت مخبول.

أحضر النادل الطعام فجلسا صامتين، أرهقتهما المشاعر المضطربة فلم يعد بوسعهما تذوق الطعام. تأملت "آشلي" يده الممسكة بكأس النبيذ وامتلأت عيناها بالدموع مثلما يحدث في أفلام الكارتون اليابانية، حاولت

ألا ترمش حتى لا تتساقط الدموع على خدها. كان الجالسون إلى المنضدة المجاورة ينظرون نحوهما، أرادت إخراج لسانها لهم، تساءلت في داخلها عن طبيعة ردة فعلهم ساعتها.

- لا يغريني عرضك بأن أكون زوجتك الثالثة.

اقترب منها وقال بصوت خاضع:

- تعبت من الانتظار، من محاولة ملأ مكانك بسواك، أعترف بحماقتي، إن كان باستطاعتي عيش الماضي مرة أخرى أعدك أن أتصرف بشكل مختلف. ثم أمسك بيدها وقبلها، فسحبت "آشلي" يدها سريعًا وهي تُعلن:

- لدي حبيب.

- وهل وقعت في غرامه؟

- أجل.

- ولم تعد لديك أي رغبة تجاهي؟

- هذا صحيح.

- إذًا لماذا تبكين؟

حاولت التوقف عن البكاء لكنها عجزت عن أن تقول "يمكنك أن تجعلني أبكي بكلمة واحدة ولكن ليس هناك ما يمكنك قوله لتجعلني

أنسى ما فعلته بي".

- فعلت كل شيء لأصل إليكِ، لم أتمكن في أول عامين بعد اختفائك من معرفة مكانك، توسلت إلى "نالان" و"زيرين" بكل الطرق، لابد أنك قمت بتهديد "زيرين"، لم تستطع النطق، بعد عامين بدأت أجمع قطع صغيرة من المعلومات من "نالان" ومن ساعتها لم أقطع اتصالي بها، أخبرتني أنكِ في حال أفضل وأن أمري انتهي تمامًا بالنسبة لكِ، أغضبني ذلك، هل تعلمين كم ليلة قضيتها في سيارتي أمام منزلك؟ وكم الألم الذي كنت أشعر به وأنا أراكِ تعودين إلى المنزل مع رجال آخرين؟

لم تستطع تصديق أذنيها، لم يخطر ببالها قط أنه تألم مثلها، تعلم أنه غضب في بداية الأمر لكنها ظنت أنه سرعان ما دفن ذكراها. هدأت قليلًا عندما شعرت ببعض التعادل. كل ما مرت به كان متبادلا.

- تشعرين بالغضب لزواجي بأخرى. فعلت كل شيء كي أنساكِ، أحببت أخريات، حاولت إخماد أوجاعي، لكن الحياة ليست بهذه البساطة. لم أتزوج تلك المرأة لأني أحببتها، بل تزوجت منها - بحق الجحيم - لأنني أحبك.

25

من حسن الحظ أن البوابة الحديدية لم تكن موصدة، دفعت البوابة بكل ما بها من قوة ودخلت المبنى، لم تكترث لكعب حذائها العالي، أسرعت إلى الطابق الخامس، تتسلق الدرجات درجتين في المرة، كانت تمارس الرياضة لأعوام، لكن أداءها الليلة لا يتعلق بذلك. استندت إلى الدرابزين الخشبي لتلتقط أنفاسها ثم ضغطت زر الشقة رقم ٢٥، باليد الأخرى بدأت تطرق الباب بعنف. كانت الساعة الثانية والنصف صباحًا لكن حالتها العقلية لم تسمح لها بالانتباه لذلك. لم يهمها إزعاج الجيران أو التسبب في فضيحة.

ظلت تطرق الباب كالمجنونة، وصمت المبنى يُضخم الصوت ويجعله غير مُحتمل. أدركت الليلة أن بإمكان المرء القيام بأي فعل. يمكنه أن يصير قاتلا، سارقا، ساقطا، يمكنه التخلص من طفله أو بيع زوجته أو إيذاء والديه، فالذي تنوي القيام به بعد لحظات لم تفكر يومًا في القيام بنصفه. البشر خارجون عن القانون بطبيعتهم.

بعد دقائق فُتح باب الشقة رقم ٢٤ و٢٥ في ذات اللحظة. خرج من

الشقة ٢٤ رجل أشعث الشعر، سمين، يرتدي رداء نوم مخطط، بينما دفعت "آشلي" باب الشقة رقم ٢٥ بعنف، وسحبت المرأة المرتدية قميص نوم وردي من شعرها وهي تصرخ:

- أقمت علاقة معه، أليس كذلك؟ أخبريني بالحقيقة.

- هل أنتِ مختلة؟ دعيني! هل جننتِ؟

فلتت منها المرأة ذات القميص الوردي واحتمت بركن بعيد.

أمسكت "آشلي" بأثمن مزهرية لدى صديقتها وألقت بها على الأرض بعنف وهي تصيح:

- سألتك هل أقمتِ علاقة معه؟

تناثر الزجاج في جميع الاتجاهات. اشترتا تلك المزهرية معًا قبل عامين في يوم شديد البرودة. كانت ثمينة حتى أن الطريق الذي عادة ما يستلزم خمس دقائق، استلزم منهما خمسة وأربعون دقيقة خوفًا عليها.

- لا أصدق أنك كسرتيها، من الذي تظنين أني أقمت علاقة معه؟

- "عُمر".

كانت "آشلي" مهتاجة، ظلت تلقي بكل ما يقابلها على الحائط المقابل. لعنت الديكور البسيط عندما لم يعد هناك شيئًا لتكسره، قفزت على

الأريكة وهاجمت صديقتها. صفعتها وبدأت صديقتها في رد الضربات، ورغم أن الصوت الرجولي الذي ظهر فجأة شتتهن للحظة إلا أن كل منهن أصرت ألا تطلق شعر الأخرى.

- بحق الله توقفا، هل جننتِ؟

أخيرًا نجح "علي كريم" في الفصل بين الفتاتين، ولكنهما ظلتا كثورين هائجين.

- هل أقمت علاقة معه؟

أجابت "نالان" وهي تعدل هندامها:

- وماذا في الأمر إن فعلت؟

- عليكِ اللعنة، كنتِ صديقتي المُفضلة.

- حسنًا أنا إنسانة سيئة لأنني فعلت ذلك ولكنك فعلت المثل قبل أن تتحول خالتك إلى رماد، أقمت علاقة مع حبيبها، فلا تتظاهرين بكونك إنسانة فاضلة.

تدخل "علي كريم" الذي كان يبدو مذعورًا بينما يرتدي سرواله الداخلي فقط:

- هل أقمت علاقة مع حبيب خالتك؟

- كانت خالتي متوفاة بالفعل.

تجيد "نالان" السيطرة على المواقف.

- سامحيني لم يكن باستطاعتي انتظار وفاتك.

نظرت "آشلي" نحوها كأن بإمكانها قتلها الآن ثم صاحت بـ"علي كريم":

- اهتم بشئونك أيها المغفل. فلتبقى خارج هذا الأمر.

فأجابها:

- "آشلي" رجاءًا لا تكوني فظة، إنها الثالثة صباحًا ومن الأفضل لو ترحلين الآن.

يا لهما من زوج مقزز! قبل يومين كانت إحداهما صديقتها المُفضلة والآخر رئيسها، والآن أصبحت واحدة عدوتها والآخر حبيب عدوتها.

أشتعل سخطها على "علي كريم" حتى أنها لم تعد قادرة على السيطرة على فمها فانفجرت قائلة:

- لست فظة، أليس صحيح أنك مغفل؟ ألا يردد ذلك جميع العاملين بالشركة؟ ألم تبوء كل المشروعات التي تبنيتها خلال هذا العام بالفشل؟ ألم يستغل منافسينا جميع الأفكار التي رفضتها أنت ونجحوا في التفوق علينا باستخدامها؟ أنك مغفل وأحمق وتثير اشمئزازي برأسك الضخم

وعقدك السخيفة المُتمكنة من روحك.

قال "علي كريم" بكراهية بينة على وجهه:

- حمقاء قذرة.

فتلقى وجهه منفضة السجائر. ترك الغرفة وعاد بعد دقائق مرتديًا بنطاله، كانتا "آشلي" و"نالان" جالستين متباعدتين يشعلن السجائر. لو لم يُطرق الباب ولم يأتي اثنين من رجال الشرطة لأخذهم إلى مركز الشرطة لظلت "آشلي" جالسة في تلك البقعة حتى الصباح، فهي ترغب في معرفة كل شيء عن الأمر.

قام الجيران بالاتصال بالشرطة بعد ما سمعوه من عنف وصراخ وكلمات بذيئة في هذا الوقت المتأخر، ربما ظنوا أن أحدهم يتعرض لمحاولة قتل. إن كان الوضع مختلف لشعرت "آشلي" بحرج بالغ وهي تجلس في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة ولكن الأمر لم يشغل بالها الآن. حاول رجال الشرطة اصطناع الجدية رغم أن الفضول بدا واضحًا على وجوههم. على الأرجح ظنوا أن السبب هو صراع بين السيدتين على "المطرقة"، طرحوا بعض الأسئلة ثم استسلموا حينما تأكدوا أنهم لن يحصلوا على إجابات مُرضية.

تولى "علي كريم" مهمة تفسير الأمر للشرطة خوفًا من اشتعال عراك جديد بين السيدتين في مركز الشرطة، ردد بعض الجمل التي لم تحمل أي معنى قائلًا:

- نحن آسفون، لقد أحدثنا ضجة وأزعجنا الجيران، هاتين السيدتين هما صديقتين قديمتين، اشتبكتا في جدال مفاجئ ولكن الأمر انتهي الآن بكل تأكيد، تحدث مثل هذه الأمور بين الأصدقاء أحيانًا.

قال أحد رجال الشرطة محاولًا إخفاء ابتسامته:

- علينا تحرير محضر في كل الأحوال.

تناولوا الشاي بينما تم تسجيل الواقعة، تجنبوا النظر إلى بعضهم البعض، عندما تركوا المركز بعد نصف ساعة كانت النفوس مازالت مضطربة، لم تعلم "آشلي" إن كانت ترتعش بسبب الطقس البارد أم أعصابها المشدودة. تمنت أن تتمكن من الرجوع بالزمن وتجنب كل ما مرت به اليوم، لو علمت أن الأمور ستأخذ هذا المجرى لاعتذرت عن موعد العشاء مع "عُمر". اعتادت "چوليد" أن تقول:

- أحيانًا كونك مغفلًا يجعل الحياة أسهل.

كانت محقة. ماذا عاد على البشر من العلم والمنطق؟ عندما تتوغل في أمر ما ينتهي بك الحال مواجهًا المصائب والعفن. تكون محظوظًا إذا كان لديك القدرة على التحمل ولكن إن لم تكن كذلك فعليك ألا تتعمق في الأمور من البداية.

إن فعلت فعليك أن تترك الأرض والأحجار وحتى الأزهار تُغطي الأمر مع مرور الوقت. ثم تتسكع مرحًا في الحدائق المُشيدة فوق الماضي.

تأملت "آشلي" صديقتها التي تمشي في صمت، مرتدية معطفها الواقي من المطر، هذه المرأة التي تعرف "آشلي" ملامحها، أيديها، إيماءاتها، وجوانبها الشخصية تحولت الآن إلى شخص غريب كليا. خسرت صديقتها للأبد وألمها ذلك، كانت "نالان" جزء رئيسي من حياتها ولكن حياتها تعرضت لأزمة قلبية وتوفي جزء من "آشلي"، تمنت لو لم تكتشف الحقيقية، تمنت ألا تخسر صديقتها. أرادت مسامحتها ولكنها تعلم أنها لن تستطيع، جعلها ذلك تشعر بتحدٍ، ألا يكفي ألم التعرض للخيانة، أيجب أن تشعر بألم فقدان صديقتها أيضًا؟

قالت "نالان" بدون النظر إلى "آشلي":

- أنتِ تضخمين كل شيء، مر دهر على هذا الأمر.

عقدت ذراعيها أمام صدرها واستمرت في التحدث كأن ما حدث غير متعلق بها.

- لست فخورة بما فعلت، ولكن بعض الأمور تحدث.

كانت "آشلي" أكيدة أن "نالان" فخورة بما فعلت، دائما ما تمتدح كل أفعالها ولا يرى أحد على وجهها ملامح الخجل أو الشعور بالذنب مهما ارتكبت من أفعال. ليس الأمر بيدها، فلديها ميول لتمجيد تجاربها. عندما تقيم علاقة مع رجل متزوج تصف نفسها بفارسة الحب، عندما تهين أحدهم بلا سبب تتقمص دور مُعلنة الحقائق ورمز المصداقية، لديها موقف فاتر من الحياة بكل موضوعاتها - موقف ليس من السهل أن

يتبناه المرء. لطالما فسرت "آشلي" الأمر كانعكاس لثقة "نالان" الشخصية، ولكنها الآن تشعر أن "نالان" مخبولة.

بعد إلقاء بعض النظرات الفارغة نحوها، بدأت "آشلي" في الضحك، صمت الليل جعل صوت ضحكها يبدو أعلى، وزاد انفعالها من التعبير الحائر على وجه "نالان" و"علي كريم". لم يعد لديها أي شخص، أصبحت بلا أم أو أب، بلا أصدقاء، أصبحت وحيدة في هذا الكوكب الأزرق الضخم.

تحسست انتفاخ جيبها بطريقة تلقائية، لقد سرقت هاتف "نالان" الخلوي، سيسهل عليها ذلك الانتقام من "نالان" كما أنه سيمنع "نالان" من إرسال صور استفزازية إلى زوجة "حسن".

سألها "علي كريم":

- هل أنتِ بخير؟

أكد هذا السؤال على ما يتمتع به من غباء.

- بعد أن أقام الرجل الذي أحبه علاقة مع كل معارفي؟

قالت "نالان":

- ليس كل معارفك أيتها الحمقاء بل كل معارف "چوليد".

26

بعد مرور ساعتين، كانت "آشلي" جالسة في الظلام تحدق في "البوسفور"، تذكرت واقعة من الماضي البعيد - لم تستوعب كيف تمكنت من استرجاع تفاصيلها - فقد كانت ذكرى غامضة. في عيد ميلادها التاسع أعطاها صديق والدها سلحفاتين مائيتين، لم تسعد الهدية أباها ربما لأنه لم يحب الرجل ولكنها ابتسمت ابتسامة واسعة.

أرادت أن تطلق عليهما أسمي "التفاح الأخضر" و"الطائرة"، ولكن أبوها وجد الأمر سخيفا فأنهي النقاش بقوله:

- لنطلق عليهما "تابي" و"تاوني".

هذه أسماء قطط! ولكنها لم تستطع الاعتراض. بعد الأمسية الدينية التي أقاموها في الليلة الأربعين لوفاة أمها، كانت "آشلي" تلعب مع السلحفاتين في غرفتها حين اقتحم أبوها الغرفة كالعاصفة، ألقى بورقة في وجهها وأخذ السلحفاتين، لم تنظر "آشلي" إلى الورقة كانت تعلم ما بها، فهي نتيجة امتحانها التي كانت تحتفظ بها في حقيبتها وكان عليها علامة حمراء: "٣". تبعت والدها إلى المطبخ حيث وضع السلحفاتين على

الطاولة، أخرج كسارة البندق من الدرج وسحق المسكينين الواحد تلو الآخر. كان صوت تحطم القشرة غير مُحتمل. عندما ألتفت والدها وحدق بها لم تنبس ببنت شفة، أسرعت إلى غرفتها ونامت فورًا، لو لم تحصل على هذه النتيجة في الرياضيات لما حدث أي من ذلك.

بعد الواقعة بخمس وعشرين عاما جلست "آشلي" على الأريكة تبكي سلحفاتيها الصغيرتين. تحطمت أجسادهما بسرعة فائقة! لم يحتاج والدها إلى قوة خاصة، تفتت صدفتيهما في لحظة. إذا طبقت المنطق فقد عاشت "آشلي" تجارب أكثر قسوة، تذكرت يوم وفاة أمها، هل شعرت بحزن شديد؟ ربما، ولكن ما أحزنها حقًا هو اضطرارها للعيش بمفردها مع والدها. من الغريب أنها لا تتذكر الكثير عن وفاة والدها، كل ما يحتفظ به عقلها هو مجيء "چوليد" واصطحابها لها. ثم توفيت "چوليد" أيضا، انفصلت عن "عُمر"، أخذت حياتها مجرى غير طبيعي، ولكنها لم تشعر أبدًا بنفس الألم الذي شعرت به يوم قتل سلحفاتيها.

أشعلت سيجارة ونظرت إلى هاتف "نالان" المتروك على المنضدة. أغلقت عينيها وتخيلت "عُمر" يبادل "نالان" الغرام، كيف يمكن لتخيل أن يؤلمك بهذا القدر؟ كان قبول دعوة "عُمر" غلطة ضخمة، يجب ألا تسمح للحياة بأخذك إلى أقاصيها. قبل هذه الليلة كانت حياتها بدأت في التحسن، وجدت حبيب جديد ومناسب لها، لِمَ البحث عن المتاعب؟ في الدقيقة العشرين من العشاء باءت كل محاولاتها بالفشل، اختفت ثقتها بنفسها وإيمانها أنها لم تعد تحب "عُمر". القرب منه يشبه العيش في المدينة المفضلة لديك، رغم أنك لم تولد هناك إلا أنك تختار أن تحيى وتموت بها. تنتمي أجمل الشوارع إليك،

أكثر المحال تشويقا وأبهر الأضواء في هذه المدينة. لا يبهرك الغروب في أي مدينة أخرى كما يبهرك في مدينتك المفضلة. شعرت أن لا أحد يستطيع اختراقها بنظرة مثل "عُمر".

أيقنت أنها تحبه بلا أمل، تأمل وجهه يولد لديها رغبة في البكاء، استطاعت العودة إلى حبه من حيث توقفت. لابد أنها ملعونة.

أخبرته وهي تترك العشاء أنها لا تريد رؤيته مرة أخرى، تعلم أن قوى المقاومة لديها سوف تنهار إن استمرت في مقابلته. يكفيها معرفة أنه لطالما أحبها ومازال يحبها لتنجو ببقية عمرها، في طريقها إلى سيارتها بعد الخروج من المطعم أرسلت رسالة اعتذار قصيرة إلى "زيرين"، فمن الواضح أنها كانت مظلومة من البداية. كانت "نالان" هي من قام بتسريب المعلومات إلى "عُمر". فور استلام الرسالة من "آشلي" اتصلت "زيرين" بها وهي ثائرة، اتهمتها بالانحياز لـ"نالان" والافتراء عليها، وقبل إنهاء المكالمة صرخت بها قائلة:

- دائمًا ما تعطين "نالان" الأهمية الأكبر وأخذ أنا موقع النعجة السوداء، لقد فاض بي ... هي من أقامت علاقة مع "عُمر" ثم أصبح أنا الشخص الغير مرغوب فيه.

27

بعدما عادت "آشلي" إلى المنزل ومعها هاتف "نالان" تلك الليلة، صاحبها الأرق حتى الفجر، على الأرجح، هكذا يتحول الشخص إلى قاتل، لو تأكدت أن أحدًا لن يكتشف أمرها لقتلت "نالان" و"عُمر" الآن في مكان مهجور، أو استأجرت قاتل محترف. تخيلت نفسها تصدر الأوامر بلا رحمة:

- لا أريد ميتة سهلة، أريد أن يتعذبا، لابد أن يكون هناك الكثير من الدماء، كما يمكنك أيضًا أن تقوم بتقطيعهما إلى قطع صغيرة حتى يختفيا من وجه الأرض.

حدقت في الظلام وتخيلت طلقة كبيرة تُفجر رأس "نالان"، والدم والأشلاء تتناثر على الحوائط المحيطة. تمنت لو لم تغلق عينيها خلال المشاهد العنيفة في الأفلام، لكان خيالها الآن أعنف. ثم تخيلت جنازة "نالان"، ستقف هي مع "زيرين" في ركن بعيد في مقابر "زينكيرليكويو"، يكسو وجهها ووجه "زيرين" حزن أليم بينما كل ما يفكرن به هو التخلص من غطاء الرأس الثقيل بأسرع ما يمكن. ثم يصل "عُمر"، ووالدي "نالان" يبكيان. يقف هناك بلا حراك يحدق بحذائه، غير متوقع أنه التالي. ولكن "آشلي" لم

تحبذ تخيل موته، وجهت غضبها كله نحو "نالان" كأنها الجانية الوحيدة. يا له من ظلم! في مكان ما يرتكب أحدهم خطأ فيصبح عليك أنت تحمل العواقب، ودفع ثمن أفعاله، وتعلم التأقلم مع الألم وامتصاصه، وفي اللحظة المناسبة عليك كذلك العفو عن المخطئ. عادت إلى مشهد انفجار رأس " نالان"، فهذا مشهدها المفضل. تساءلت إن كان عليها تخيل خروج عينيها من مكانهما كذلك.

توقفت لحظة لأخذ راحة من تخيلاتها القاسية، وأعدت لنفسها كأس ويسكي. كانت تكره الويسكي ولكنه الآن يناسب مزاجها: مشروب قوي لامرأة صلبة. تمددت على الأريكة بكأس ممتلئ وأمسكت بهاتف "نالان".

ستحطم "نالان" الأرقام القياسية: أضافت صور "علي كريم" لصور "حسن" السابقة لها، كأنها ليست نفس المرأة التي كانت تعاني من انهيار عصبي بسبب "حسن" منذ ثلاثة أيام فقط. ثم اكتشفت أمر آخر: كان رقم "عُمر" مُقيد على هاتف "نالان"، وفي محاولة للتحايل كالعادة، قامت بتقييده تحت أسم "سمرة" - أسم أنثوي - غير أنهما تبادلا المكالمات ثلاث مرات خلال العشر أيام الأخيرة. ربما يقيمان علاقة منذ أعوام.. شعرت بأعضائها الداخلية تتضخم، كأنها توشك على الانفجار.

تركت تخيلاتها تعبث بها طوال تلك الليلة. صور لها عقلها العلاقة بين "عُمر" و"نالان"، رأتهما يتبادلان الحب، ويأكلان معًا، ويتحدثان ويسخران منها. أدركت أنها تُعذب نفسها ولكنها فشلت في السيطرة على عقلها. لم تتخلص من هذه التخيلات حتى الصباح.

بعد ساعات قليلة من النوم المضطرب أيقظها صوت لم تستطيع تحديد مصدره في البداية، شعرت بالخوف ولكنها سرعان ما أدركت أنه صوت هاتف "نالان". كانت الساعة التاسعة وقد تأخرت على موعد العمل بالفعل. عندما قرأت أسم المتصل لم تعرف ماذا تفعل: كان "منزل حسن". بعد تردد ضغطت على الزر الأخضر. ربما لشعورها برغبة لا تُقاوم في إشعال بعض الاضطراب.

لم يكن لديها فكرة عما يمكن قوله لـ"حسن" ولكن فور استحضارها لما يمكن أن تقول تحمست.

- مرحبًا.

أجابها صوت امرأة دافئ:

- عزيزتي "نالان" مرحبًا، أنا "أيتن".

"أيتن"؟ ثم تذكرت فجأة، كانت "أيتن" زوجة "حسن". المرأة التي من المفترض أنها قامت بفصل "نالان"، يبدو أن "نالان" تصرفت بسرعة أكبر وأرسلت للمرأة صور زوجها بطريقة أخرى.

- سيدة "أيتن" أنا صديقة "نالان"، لقد نست هاتفها عندي.

لم تريد أخذ نصيبها من العاصفة التي ستهب في وجه "نالان".

- أوه أعتذر، سمعت للتو أن "نالان" استقالت وشعرت بالأسف. أردت

الاتصال بها لأطمئن عليها وأعرف إن كان باستطاعتي مساعدتها. هل بإمكانكِ إعلامها باتصالي؟

بدت صادقة. إما أنها شديدة الدهاء أو أنها لا تعلم شيئًا عن علاقات زوجها. ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه "آشلي" وحيث أنها بمفردها في المنزل فلا داعي لمحاولة إخفاءها. أجابت بصوتها الودود:

- دعيني أعطيك رقم هاتف "نالان" المنزلي، من المؤكد أنها ستسعد بسماع صوتك.

كانت لتحتضن المرأة الآن لو كانت أمامها.

أغلقت الهاتف وضحكت لمدة طويلة. المرأة المسكينة لا تعلم شيئًا، لم تكتشف أمر "نالان" و"حسن" ولم تأمر بفصلها.

الحقيقة أن "حسن" تخلص من "نالان" بمناورة مدروسة وطريقة ماهرة، ذهبت "آشلي" لأخذ حمامًا وهي تشعر بالرضا، سلمت جسدها للماء الدافئ المُطمئِن بعد أن أراحت قلبها عدالة السماء.

28

كان من المتوقع أن تحصل "آشلي" على ترقية خلال شهرين ولكنها لم تفعل. ضاعت مجهوداتها في الأعوام الثلاثة الماضية هباءً. عندما كان الجميع هائمين على وجوههم كانت تكتب هي التقارير، وعندما كان الجميع يأخذون الإجازات كانت تحلل أوضاع المنافسين، بالإضافة لكونها أكثر العاملين ذكاء، ومشاريعها دائمة التميز. تم التغاضي عن عمل ثلاثة أعوام كاملة، وأصبحت "دافني" نائب المدير العام الجديدة، "دافني" الحمقاء الكسولة ذات الذكاء المتوسط، "دافني" التي تتمتع بما يكفي من الإدراك السليم حتى لا تصرخ على مديرها العام واصفة إياه بالأحمق.

ظلت "آشلي" طوال الأسبوع الأول تعض أظافرها، حتى اكتشفت في الأسبوع التالي أنها واقعة فيما هو أسوأ من توقعاتها. أولًا تم إلغاء المشروع الذي عملت عليه كالمجنونة لمدة نصف عام، لأسباب سخيفة، كما تم تجاهل خططها السنوية بشكل كامل، بالإضافة إلى أنها لم تُدعى إلى المؤتمر السنوي الذي يأتي الرؤساء من "أمريكا" لحضوره، رغم أنها في الأعوام الماضية كانت أهم مدعوة إلى مثل هذه المؤتمرات، وعندما لم تُدعى كذلك إلى العشاء الذي أقيم مساء المؤتمر، والذي حضره جميع زملاؤها،

تأكدت شكوكها. من الواضح أن "علي كريم" يحاول إظهار "آشلي" كموظفة عديمة القيمة أمام الشركاء الأجانب، كما يعمل على إبقاءها بعيدة. فوجئت أكثر بأسلوب "علي كريم" المكشوف: فقد أعلن الحرب ضد "آشلي" بشكل مباشر مما يتنافى مع الأساليب الاحترافية، حتى أن جميع العاملين بالشركة لاحظوا الأمر وتهامسوا عنه في كل ركن ورغم ذلك لم يُراجع "علي كريم" موقفه.

شيء لا يُصدق! كيف يمكن لـ"علي كريم" - الرجل الجبان الذي يخشى ظله - أن يتحول إلى مُحارب؟ توقعت أن "نالان" وراء كل ما يحدث - في الواقع كانت متأكدة من ذلك - ولكنها لم تستوعب إمكانية التأثير على "علي كريم" بهذه السهولة، لم يكن من الرجال الذين يجازفون بأنفسهم من أجل امرأة، فهو أناني ومحب لذاته. اهتمامه الأوحد في الحياة هو المحافظة على منصبه - الذي وصل إليه بمحض الصدفة - لأطول مدة ممكنة.

عدا عدم الحصول على الترقية فقد كانت حياة "آشلي" نشطة، فبعد أن اتصلت السيدة "أيتن" بـ"نالان"، أدركت الأخيرة أن "آشلي" سرقت هاتفها واشتعلت غضبا. اتصلت بـ"آشلي" أربعة أو خمس مرات وفي كل مرة تغلق أحداهن الخط في نوبة غضب بعد أن يتبادلا اللعنات والشتائم.

هددتها "نالان" باللجوء إلى الشرطة، وبتدمير حياتها وبقطع رقبتها.. في هذه الفترة تم منح "زيرين" مهمة نقل المعلومات الخاصة بـ"نالان" إلى "آشلي" - وبالطبع أبرعت في القيام بمهمتها - فعلمت "آشلي" أن "نالان" فقدت عقلها بعد اتصال زوجة "حسن"، لم تستطع استجماع

نفسها لأيام، وعندما اقتربت من الجنون اقتحمت مكتب "حسن"، الذي عاملها بقسوة واعترف أنه تخلص منها لأن طلباتها - التي لا تنتهي - أنهكته، صاح بها:

- ألا تفهمين؟ انتهي الأمر!

فهجمت عليه "نالان" - التي طالما بدت هادئة ورزينة - وجرحت وجهه بأظافرها.

تطورت علاقة "آشلي" و"سينان" بحذر، حافظا على مسافة الأمان بينهما، لكل علاقة قواعد وقواعد علاقتهما تلخصت في ألا يسألا عن أمور فائقة الخصوصية وألا يتدخلا في التفاصيل الصغيرة لحياة بعضهما البعض. كان الرابط بينهما مختلف تمامًا عن علاقة "آشلي" و"عُمر". أولًا، تميزا بطريقة اتصال أرق وأكثر ودية: لم يستخدما كلمات كالطلقات. لم يستهلك أحدهما نفسه في جرح الآخر. وضعا الأمور تحت السيطرة، ولم يزر أحدهما منزل الآخر بدون اتصال سابق، ولم يتصلا ببعضهما بلا سبب ليقولا "اشتقت إليك" - رغم اشتياقهم. ولكن اعتادا قضاء ثلاثة ليالي معًا كل أسبوع، وإن ظل من يرتب الأمر أو يرغب فيه مجهولا. سألته "آشلي" مرة واحدة فقط عن سبب انفصاله، قالت بخجل وهي مستلقية بين ذراعيه بعد ليلة حب خلابة:

- لا تجيب إن كان الأمر سيزعجك.. ولكن لِمَ انفصلت عن زوجتك؟ هل انتهي حبكما؟

- انتهي حبها.

لم يعيشا متلاصقين ولكن استمتعا بالطهي معًا، الذهاب إلى دور العرض والحانات سويًا حتى ساعات متأخرة من الليل. لأول مرة تعرف "آشلي" معنى الحصول على علاقة مستقرة، الحياة قابلة للمشاركة. لم تتشارك هي و"عُمر" الحياة بل سرقا منها لحظات. لم يخرجا يدا في يد، لم يقبلها في حانة. وكانت مكالمات "داليا" دائمًا ما تُفسد أسعد لحظاتهما. بعد "عُمر" اختارت "آشلي" ألا تشارك الكثير مع أي من الرجال الذين دخلوا حياتها. كانوا جميعًا يثيرون حنقها بشكل أو بأخر. بعضهم لم تستطيع تحمل تناول العشاء معه، ومن استطاعت تحمله خلال فترة العشاء تحول إلى مصدر إزعاج في باقي الأمسية. حتى من استمتعت بصحبتهم كأصدقاء تضايقت منهم بعض أن تحولوا إلى أحباء - بسبب نطق كلمة معينة بطريقة غريبة على سبيل المثال. ولكن الوضع الآن يشبه الأفلام. لديها حبيب ينطق الكلمات بطريقة سليمة، يبدل إطارات سيارتها، يقيس حرارتها عندما تمرض، يحتضنها ويغفو في هدوء، ويمكنها تناول الإفطار معه لمدة ستة ساعات في العطلات.

ولم تسمع من أو عن "عُمر"...

29

بطريقة مفاجأة زارتها "زيرين" في المنزل، خلال نصف ساعة تناولت زجاجة من النبيذ الأحمر وثملت. فقدت "آشلي" الأمل في رحيل "زيرين" فحاولت الاستسلام لقدرها ولكن "زيرين" تتحول إلى مذياع لا يتوقف عندما تثمل - مما صعب الأمر على "آشلي" - لم تكن "زيرين" شخص رائع وهي واعية ولكنها عندما تكثر من الشراب تتحول إلى كارثة لا يمكن إطلاقها بين الناس. حمدت "آشلي" الله أنها في المنزل. كانت "بوليانا" محقة حين قالت:

- عندما تكافح لفترة كافية فستجد دائمًا سبب لتفرح.

قالت "زيرين" بصوتها العميق:

- نحن.. النساء الجميلات الأنيقات المذهلات، نعاني من نقص في الرجال، لا يوجد رجل جيد.. لقد أصبحوا جميعًا أكبر من حجم حذاءهم، لا نخرج مع أحد، لم يعد هناك متحابين، تتعلقين بشخص ليومين ثم ينتهي الأمر ويذهب كل شخص إلى حال سبيله. لا تستطيعين حتى إجراء محادثة مع رجل بسبب صوت الرسائل القصيرة الصادر باستمرار من هاتفه.. أقسم أن سياسات "جلاسنوست" و"بيريسترويكا" لم تدمر

حياتنا بقدر ما فعل الهاتف الخلوي. وانظري إليكِ، أتساءل كيف تتمكنين من إيجاد هذا الكم من الرجال اللطفاء!

- من يسمعك يظن أن حياتي مترفة. وجدت أخيرًا رجل لطيف ولكنني سأخسره قريبًا حيث سأصعق بعين الشيطان والفضل لكِ.

لم تكن فكرة جيدة أن تناقش "زيرين" وهي ثملة، عليك أن تومئ برأسك مهما قالت ثم تنسى الأمر.

- لا تقولين ذلك، ليست المرة الأولى، إن جمعنا الرجال الذين تخلصتي منهم بدون سبب واضح يمكننا إنارة حياة عشرين امرأة عزباء.

- حقًا؟

- بالتأكيد، كان هؤلاء الرجال نعم مرسلة من السماء، إن كنت سترفضينهم فعلى الأقل لا تفسدينهم.

- ماذا كان علي أن أفعل بهم؟ هل علي أن أقبلهم وأشعر بالعرفان؟

ضحكت "آشلي" فاعترضت "زيرين":

- لا أعلم، ولكن لا تبحثين عن عيب في ذلك الرجل الجديد، سيغضب الله عليك، أنتِ مُرهقة وصعبة المزاج، لا أعلم ماذا يرى الرجال فيك!

- لا داعي للقلق فعلى الأغلب سيتم فصلي قريبًا ولن أستطيع فقدان

حبيب في نفس الوقت.

وقفت "زيرين" فجأة، خطت بعض الخطوات العصبية ثم وقفت بثبات - إذا رآها من لا يعرفها لظن أنها مرسال الحرب العالمية الثالثة - ثم قالت:

- يا إلهي! نسيت أخبارك.

طرقت رأسها بقبضتها ثم أكملت:

- عندما ذكرت عملك تذكرت.

- ما الأمر؟

انقبضت "آشلي" بطريقة مفاجأة - خشيت أن تخبرها "زيرين" عن أمر يتعلق بـ"نالان" و"عُمر" - لن تتحمل السماع عن أمرهما مرة أخرى، على الأرجح إلى الأبد.

- "علي كريم" واقع في المشاكل مع زوجته.

أخذت "آشلي" نفسًا عميقًا، لم تعلم أن لها رئة بهذا الحجم.

- وماذا في ذلك؟ سوف ينفصلا على أية حال.

ليس هناك أمهر من "زيرين" في صنع جبل من تل صغير. تستمتع بالنميمة أكثر من الحب. حفنة من الأخبار الطازجة - خاصة المتعلقة بسوء حظ الآخرين - كفيلة بمنحها أقصى درجات السعادة، وتزداد

سعادتها كلما كانت أقرب للضحية.

- الانفصال أمر آخر ولكنهما الآن في صراع على الأموال، أخبرتني "نالان" بكل شيء، تريد زوجته الكثير من الأموال ولكن "علي كريم" يقول إنه لن يعطيها شيئًا لأنها هي من أرادت الانفصال.

- حقًا!

وقفت "آشلي" وتوجهت إلى النافذة، بينما تتأمل "البوسفور" ارتسمت ابتسامة غير مُبشرة على وجهها.

30

انتهى الاجتماع أخيرًا. لسبب ما كلما قلت أهمية الاجتماع كلما طالت مدته. كأنما يقولون "هيا لنجتمع ونتحدث عن التفاهات، نجري مناقشات غير مثمرة ونطرح أسئلة بلا إجابة ونبحث عن إجابات غير موجودة" لدى البشر الكثير من الوقت ليضيعوه.

وضعت الأجندة - التي كتبت فيها "سوف يقتلني الملل" مرات لا تحصى - في حقيبتها وأسرعت إلى الخارج. خطة "علي كريم" الجديدة شملت إبقاء "آشلي" بعيدة عن الشركة لأطول فترة ممكنة، كان يختلق الأسباب ليرسلها إلى اجتماعات غير مهمة في أقاصي المدينة. تكرر الأمر ولم تفهم "آشلي" سبب حضور هذا الاجتماع! كان من الأنسب أن يحضره موظف من قسم المبيعات. تحتاج لمعجزة الآن لتخرج من أزمة مرور ضاحية "باچيلار". عليها أن تفعل ذلك فهذا كل ما تريد في هذه اللحظة.

شعرت مثل قطة على حجارة ساخنة وهي تصعد إلى سيارتها، ثم بدأ هاتفها في الرنين بنغمة مرحة كأنما يستفزها. أجابت بصوت مسطح دون محاولة الحفاظ على الودية:

- مرحبًا.

- أظن أنني اتصلت في وقت غير مناسب.

كان المتصل "عُمر".

- أجل كنت استعد للضياع في "باچيلار" في هذه اللحظة.

بدت حادة أكثر مما انتوت.

- حسنًا سوف اتصل في وقت لاحق.

- ماذا عن عدم الاتصال أبدًا؟ لأنك تصيبني بالاشمئزاز لدرجة أن مجرد سماع صوتك يجعلني أرغب في التقيؤ.

أكملت "آشلي" بغضب:

- أعلم عن علاقتك بـ"نالان" أيها الخنزير.

من مساوئ الهاتف الخلوي أنه يحرمك من متعة وضع السماعة بعنف وأنت تنهي المكالمة، على الأقل تُخرج جزء من غضبك في تعذيب السماعة المسكينة. أغلقت هاتفها وألقت به على المقعد المجاور. "فليذهب إلى الجحيم" حدثت نفسها. لو لم تكن مستفزة ذلك اليوم لما قالت ما قالت ولكنها سعيدة الآن أن قالته. لقد أنهكها كبت مشاعرها وإخفاءها. تعبت من الأسرار والأسئلة الغير مُجابة، اختلاف الآراء واكتشاف أن حقيقة

الأشياء مختلفة عن مظهرها.

عادت إلى المنزل منهكة، أرادت أخذ قسط من النوم قبل قدوم "سينان". اتفقا على طلب الطعام ومشاهدة فيلم. خلعت ملابسها وألقت بنفسها على السرير، حطمت أرقامها القياسية في الخلود إلى النوم بأقصى سرعة. راودها حلم رأت فيه نفسها تسبح في مياه صافية في يوم مشمس، كانت المياه شفافة لدرجة أنها تمكنت من رؤية بيوت السلطعون وأطفالها البيضاء الصغيرة في الرمل، سبحت إلى أقرب مرسى خشبي وصعدت عليه، استلقت إلى جوار رجل يأخذ حمام شمس بينما بعثرت هي النقاط المالحة حولها. وضعت يدها المبتلة على الخشب القديم فشعرت بملمسه القوي ثم احتضنها الرجل، كان جسده دافئ كالشمس، أسندت "آشلي" رأسها على صدره العريض وقالت:

- لقد اشتقت إليك.

كان الرجل "عُمر".

لابد أن جرس الباب كان يرن منذ فترة لأنها في الحلم رأت سيارة تقف على الشاطئ وتضرب البوق دون انقطاع. استيقظت وقفزت من السرير، لم تجد ما ترتديه سريعًا فلفت غطاء السرير حولها وأسرعت إلى الباب، ولأنها مازالت تحت تأثير الحلم فكانت تشعر بسعادة من النوع الذي كادت تنساه.. فتحت الباب واختبأت خلفه منتظرة دخول "سينان"، الذي علق:

- يعجبني ملبسك.

حاولت السيطرة على ضيقها والابتسام. يزداد حنقها في كل لحظة لأنها استيقظت، وغضبت على نفسها لأنها مازالت تحتاج لحلم عن "عُمر". تركت الغطاء يسقط ومشت في الممر المظلم. أخبرها "عُمر" أنه تزوج من "طوبى" لأنه يحبها وها هي الآن ستمارس الحب مع "سينان" لأنها تحب "عُمر".

غالبًا ما يرتكب المحبون الكثير من الحماقات للتخلص من أسى الحب؛ يلجئون إلى أقرب مأوى. لا تدري أبدًا على من سيشن حربه هذا الذي يمارس الحب، من يريد أن يقتل بينما يُقبلك، من يكره بينما يحبك.

أمسكت برأس "سينان" وقبلته بشغف، مثلما كانت تقبل "عُمر" في الماضي. داعبت ملامحه، عينيه، أنفه، خديه، مثل "عُمر"، قربته منها واختبأت في حضنه ومعًا مارسا الحب في صمت.

31

- أريد التدخين.

- لا تفعلي.

احتضنها "سينان" وطبع قبلة على خدها، لكنها كانت تحتاج سيجارة.

- كان الأمر جميلًا.

- نعم.

- أحبك.

لأول مرة يخبر "آشلي" أنه يحبها.

- لأننا أقمنا علاقة جميلة.

لم تكن على استعداد لخوض محادثة عاطفية الآن.

- كلا، أعتقد أننا أقمنا علاقة بأجمل طريقة ممكنة لأننا مغرمين.

من الواضح أنه قرر بالفعل أن "آشلي" تبادله نفس المشاعر.

هل تحبه؟ لم تحصل على الوقت الكافي للتفكير في الأمر، إلا أنها على الأغلب تحبه. يعجبها وتجده جذابًا على الأقل، لو كان "عُمر" لم يصب - كالمرض - حياتها ثانية لأحبت "سينان" بقدر أكبر. يناسبها "سينان" من جميع الجوانب.

رن الهاتف فسعدت "آشلي" بفرصة الهروب من المحادثة، أشعلت سيجارة أولًا ثم أجابت.

- إما أن تنزلي أو أصعد أنا إليكِ.

جاءها صوت "عُمر" محتقنًا.

- ليس هذا الوقت المناسب، لدي زائر.

قالت كلمة "زائر" بنبرة ساخرة.

- إذًا سأصعد.

- كلا لن تفعل.

- انزلي الآن.

- اللعنة! حسنًا انتظر عندك.

أغلقت الهاتف بعنف، ورددت بعض اللعنات ثم أطفأت السيجارة التي

لم تأخذ منها سوى نفسين. عادت إلى غرفة النوم لتجد "سينان" في السرير يحدق بها.

- من كان هذا؟

- "عُمر"، أخبرتك عنه، حبيب خالتي السابق، أصابه الجنون مرة أخرى، يصر على رؤيتي فورًا.

انتزعت بنطالًا وقميصًا من الخزانة.

- كيف يسير هذا الأمر؟ توفيت خالتك منذ أعوام، لِمَ يستمر الرجل في إزعاجك؟

- لأنه مريض عقليًا، يخضع للعلاج، لكن تصيبه تلك النوبات أحيانًا، ماذا بوسعنا أن نفعل؟ سأعود بعد عشرة دقائق، حسنًا؟

- لم تخبريني بمرضه، هل أصاحبك؟ ماذا لو حاول إيذائك؟

- لا ليس بمؤذٍ على الإطلاق، سيبكي قليلًا على كتفي ثم يهرب. لا تقلق.

كان الطقس قارس البرودة والثلج يتساقط. كادت تتجمد رغم المعطف ذا الرقبة العالية. تفحصت المكان ولم تجد أحد، ثم لاحظت أضواء سيارة على بعد: "بي أم دابليو" سوداء فئة ٧٤٥ ... عقدت ذراعيها إلى صدرها ومشت إلى السيارة مرتعشة.

كانت السيارة دافئة وأشعرتها المقاعد الجلدية بالراحة. ولكن الراحة

تبخرت عندما كبس "عُمر" البنزين فجأة.

- توقف! لا أنوي التجول معك في السيارة ليلًا، ولدي صحبة كما أخبرتك.

- فلتذهب صحبتك إلى الجحيم، ومن هذا الرجل؟

- ليس من شأنك. من تظن نفسك لتسألني عنه؟ هل تتصور أنه يحق لك الظهور في حياتي بعد كل تلك السنوات واستجوابي؟ توقف أيها المعتوه.

كانا قد وصلا إلى الطريق الساحلي بالفعل، فـ"عُمر" يقود بسرعة جنونية. كادت تفقد وعيها من شدة الغضب. من يظن نفسه هذا الرجل؟ كيف يجرؤ على اختطافها؟ نعم هذا يُسمى اختطاف - في هذا الوقت من الليل - ويبدأ في استجوابها!

- هو حبيبي، حسنًا؟ هو رجل قابلته عارية تمامًا منذ ساعة ومارسنا الحب، لم أخذ حمامًا بعد، هل من شيء آخر تريد معرفته؟

اقتربوا من "إيستيني"، كبس "عُمر" الفرامل فجأة إلى جوار مرسى على البحر، وأغلق فم "آشلي" بيده.

- لو نطقت بكلمة إضافية فسأقتلك.

- يا إلهي، هل ستقتلني؟ هيا حاول!

بدأت تضربه بكل قوتها. هل جنت؟ وماذا في الأمر؟ يجب أن يتم إيداعها "مستشفى السلام العقلية".

كلما ضربته، زادت لديها الرغبة في إيذاءه. بدا كأنها لن تتوقف أبدًا. وأدرك "عُمر" ذلك فأمسك بذراعيها وكتفها ثم سيطر عليها بإلقاء ثقل جسده عليها.

- ابتعد أيها الحقير.

- اهدئي أرجوكِ.

- لن اهدأ.

- الأمر الخاص بـ"نالان".. حدث مرة واحدة، منذ أعوام وأريدك أن تعلمي أنه لم يعني شيئًا بالنسبة لي.

قالت باستهزاء:

- أوه.. لا تتخيل كم طمأنتني، ابتعد عني الآن.

تردد "عُمر" خوفًا من أن تعاود الضرب، ثم أطلق ذراعيها بحذر واستند إلى مقعده. جلسا متباعدين وتطلع كل منهما من نافذته.

- في هذا الوقت كنت أفعل الكثير من الأمور التي لم تعني لي شيئًا.

- مثلي أنا، هل عنيت لك أي شيء غير كوني ابنة أخت "چوليد"؟ أنت لست سويًا، هذه هي الحقيقة.

كانت تدرك ارتفاع صوتها المثير للانتباه ولكنها لم تهتم، تعجبت من تحولها إلى هذه المرأة الصارخة، كيف أصبحت هستيرية؟ لم تعد تعرف نفسها.

اتسعت عينا "عُمر" في ذهول:

- من أين أتيت بذلك؟ وما علاقة "چوليد" بكل هذا؟

- هذا ما تقوله "نالان"، أنك تقيم العلاقات مع كل من عرف "چوليد" وهذا يشملني.

- وهل تصدقينها؟ ألا تدركين أنها تردد هذا الكلام لتجرحك؟ فهي لم تقم علاقة معي إلا لكوني حبيبك السابق.

- وما هي - على أية حال - نجحت في جرح مشاعري، كلاكما - في الحقيقة - سبب في هذا الجرح.

تمنت لأيام أن يتصل "عُمر" ويخبرها بزيف ما قالته "نالان". تمنت من أعماق قلبها سماع ذلك. فجأة شعرت أنها منهكة.

- فلتأخذني إلى منزلي الآن.

كل ما تريده الآن هو الاستلقاء في سريرها، تحت الأغطية، لأيام كثيرة. فليذهبوا جميعًا إلى الجحيم، إلى أعماق الجحيم.

أدار "عُمر" المحرك دون أن ينطق بكلمة أخرى، وفي الطريق إلى المنزل، ظلت "آشلي" تتطلع من النافذة، لا تدرك شيئًا مما تراه عيناها، ثبتت عينيها على الخارج، وحسب. حتى الهواء المتجمد الذي لطم وجهها فور مغادرتها السيارة فشل في إيقاظ حواسها.

32

كان المنزل صامتًا، وضعت المفاتيح على المنضدة بهدوء ومشت على أطراف أصابعها حتى غرفة النوم، وجدت "سينان" نائمًا، ثقلت أجفانها على الفور، لكن قطع الزجاج التي جرحت قلبها لم تسمح لها بالنوم. تعجبت من الألم الحاد الذي تشعر به، فكل ما حدث هو أن حبيبها السابق أقام علاقة مع صديقتها المفضلة، ماذا في ذلك؟ يتعرض الآخرون لآلام أشد وأعمق؛ البعض يخسر أبناءه، أو يشهد وفاة من يحب في سرير المستشفى بعد عذاب أليم. يجب ألا تشعر بهذا الكم من الألم إلا حال اكتشافها أنها ستموت بعد أسبوع. يا لها من غبية!

عندما استيقظت بعد قليل، كان الظلام حالك. انتظرت أن تعتاد عيناها على الظلام ثم استدارت وواجهت "سينان"، فوجدت عينيه في استقبالها.

- ألست نائمًا؟

- كنت أشاهدك.

احتضنته "آشلي"، كانت تحتاج إلى دفء إنساني.

- كنت أفكر في وجوب الذهاب إلى "باريس" مع هذه الفتاة الجميلة.

ابتسمت "آشلي" وعلقت:

- أحب "باريس".

- ماذا عن الأربعاء؟ بعد أسبوعين من اليوم، ونعود يوم الاثنين، هل يمكنكِ الحصول على اجازة من العمل؟

- لدي خمس وأربعون يوما من الاجازات السنوية المتراكمة، يمكنني السفر حول العالم لو أردت.

- عظيم. بالمناسبة، لم أشعر بعودتك، ماذا أراد هذا المريض؟

- لا شيء، فلننسى أمره لقد أزعجني بما يكفي، دعنا نتحدث عن "باريس".

- سنذهب يوم الأربعاء ونبقى هناك ثلاثة أيام، لدي صديقين مقربين هناك "إرهان" و"إسراء"، سوف تحبينهما، يمكننا الذهاب إلى "نورماندي" معهما ليومين إضافيين كذلك.

- قلاع ونبيذ جيد والكثير من فطائر "فوا جرا"... يا للعظمة.

- يمكننا الذهاب بمفردنا إذا كنت تفضلين ذلك.

- كلا، أحب مقابلة أناس جدد.

احتضنا بعضهما البعض ثم غابا في نوم عميق.

33

- سيدة "آشلي"، ينتظرك السيد "علي كريم" في مكتبه، الأمر بالغ الأهمية.

- حسنًا، أنا قادمة.

عدلت "آشلي" من ماكياجها ثم خرجت من المكتب، لقد أتت اللحظة المُنتظرة أخيرًا، سيتم تحطيم الصمت البارد بينها وبين "علي كريم".

نظرت إلى مكتب سكرتيرتها الخالي، كانت بلا سكرتيرة منذ أسبوعين، وفقًا لتعليمات "علي كريم" بالطبع. تم إخبارها أنه وضع مؤقت، لكنها تعلم أنه ليس كذلك.

طرقت بابه بعنف ثم اقتحمت دون انتظار رد. كان المطرقة يتظاهر بالثقة بوضع ساقيه على المكتب. تساءلت في داخلها عن الفيلم الذي رأى فيه هذا الوضع لتحتفظ به ذاكرته كي يقلده في المواقف المشابهة.

- أنتِ قذرة مقززة.

- ماذا؟

- لا تتظاهرين بالحماقة. أعلم بإرسالك صور لي مع "نالان" إلى زوجتي.

ابتسمت "آشلي":

- كلا لم أفعل.

بالطبع فعلت ذلك. جلست بأريحية على المقعد المقابل له دون إذنه. ثم وضعت هاتفها على مكتبه.

- أوقعتني في المشاكل، كسبت زوجتي تعاطف العائلة برمتها، وبفضلك أصبحت الزوجة المظلومة صاحبة الحق في رفع دعوى الطلاق، تتفادى ابنتي النظر إلى عيني، ويظن والدي أنني مغفل، يصران أن أعطي زوجتي كل ما تطلب.

ردت بابتسامة:

- أنا حقًا آسفة.

- وأنا حقًا آسف لاضطراري لفصلك.

- لكنك قررت فصلي منذ شهور، والسبب الحقيقي هو علاقتك بـ"نالان"، تدس في ذهنك أفكارًا ضدي لأنها تكرهني. لا أصدق أنه يتم فصلي لهذا السبب الأحمق، اعتدت أن أكون من موظفيك المُفضلين، كنت تقول ذلك بنفسك منذ شهرين.

- عزيزتي "آشلي" لا يهمني الأمر، لقد أقنعت الرؤساء الأمريكيين بعدم فائدتك.

- لا أظنهم اقتنعوا.

- أنتِ حرة في ظنكِ، انا لست غبيًا مثلما تقولين، أقصد أحمق، تظنين أنني أحمق أليس كذلك؟ يعتقدون الآن جميعا – حقيقةً - أنها "دافني" من كانت وراء تلك المشاريع بأسرها وليس أنتِ.

استند إلى مقعده بابتسامة نصر على وجهه القبيح. وضعت "آشلي" يديها المْرتعشتين على ركبتيها.

- تعلم اجتهادي في العمل وأن وظيفتي هي كل حياتي.

- كان عليك تذكر ذلك مسبقًا، ثقي أن إفساد حياتك الآن سيكون متعتي الأعظم.

وقفت "آشلي" قائلة:

- هذه المتعة لي أنا.

نظرت إليه بتحدٍ وهي تتناول هاتفها من فوق مكتبه وتكمل:

- ألا تعلم أن الهواتف المحمولة الآن وصلت لدرجة من التطور بحيث يمكنها تسجيل الصوت؟

اتجهت إلى الباب ثم التفتت إليه:

- لا تحدق بي هكذا، تبدو الآن أكثر حماقة.

بعد أن أغلقت الباب سمعت الجحيم يشتعل بالداخل، إنه يقوم - على الأرجح - بركل كل ما يجده أمامه.

ابتسمت "آشلي" إلى سكرتيرته التي قفزت من مكانها قائلة:

- إنه متوتر اليوم.

34

فكرت بأنه يتوجب عليها التمتع بمزاج جيد، سوف تذهب إلى "باريس" مع حبيبها الجديد، ستتناول الطعام الشهي وزجاجات النبيذ وتزور "نورماندي". حدقت في السحب من نافذة الطائرة وحاولت تذكر كل الأمور الجيدة في حياتها. مازال لديها وظيفة ولم يعد "علي كريم" قادر على فصلها، لقد نصبت له الفخ وابتلع هو الطُعم، حتى إن كان لهاتفها إمكانية تسجيل الأصوات، فهي لم تكن أبدًا شخص تكنولوجي لتكتشف ذلك وتتمكن من استخدامه.

كانت بصحة جيدة، جميلة ونبيهة. لم يكن لديها عائلة تخشى إغضابهم وهذا يعني أن بإمكانها التمتع بحياتها كما تريد. إذا تمكنت من التوقف عن التفكير في "عُمر" لن يتبقى هناك ما تحتاج لتحقيقه في الحياة، ستتمتع بحياة هادئة وسعيدة ولن تنتظر نعيم مُنمق لتستمع بالحياة.

همس "سينان" في أذنها:

- فيما تفكرين؟

- أن لدي حياة جيدة.

- أهي حقًا جيدة؟

- نعم، إذا توقفت عن خلق أسباب لاكتئابي، ستصبح لدي حياة عظيمة.

- فلتتوقفي إذًا.

- ليس الأمر بيدي، هكذا أنا.

طبع قبلة على أنفها وأخرج من جيبه علبة صغيرة قائلًا:

- لدي هدية لكِ، ولنرى إن كانت ستعجبك.

- أشعر بالخجل في مثل هذه المواقف، أنظر لقد توردت خدودي بالفعل.

تورد وجهها بشدة حتى أذنيها بينما كانت تفتح العلبة. توجد بداخل العلبة قلادة جميلة؛ خيط جلدي طويل بني اللون مُطرز بأزهار قرنفل ذهبية صغيرة. نظرت إلى القلادة ثم نظرت إليه في دهشة. ماذا يمكن أن يعني ذلك؟

- ماذا حدث؟ لِمَ تنظرين إلي هكذا؟ ألم يعرض أحدهم عليكِ الزواج من قبل؟

- هل تعرض علي الزواج؟

- أجل، هل بإمكانك التوقف عن التحديق بي كأنما ارتكبت جرمًا؟

- كلا، ليس الأمر كذلك ولكنني لم أتوقع.

- ها قد حدث، هيا ضعيها، عليكِ ارتدائها حول عنقك.

لم تستطع "آشلي" النطق، وضعت القلادة حول عنقها، كانت جميلة. ارتعشت عندما قبل "سينان" القلادة في رقبتها قائلًا:

- تبدو الآن أجمل حول رقبتكِ المذهلة تلك.

حاولت التملص من بين ذراعيه ولكنه ضمها وقبلها غير مكترث ببعض الراكبين المتابعين لهما بنظرة معاتبة.

- أريد أن أبادلك الحب ليلًا ونهار.

- سوف تمل.

- أريد أن أمل منكِ.

- بعد عامين ستشعر بالضيق.

- أريد أن أشعر بالضيق منكِ لأنني أحبكِ.

- الزواج يقتل الحب.

- فليفعل، الحب حمل ثقيل وأفضل ما يمكن فعله هو قتله، والزواج هو القاتل المثالي. دعيني أتزوج منكِ كي أنجو.

- حماقة.

لم تستطع إبعاد "عُمر" عن أفكارها الآن.

- بل منطق.

- أترى؟ لا يمكننا الاتفاق.

لم تدرك مشاعر "سينان" الفياضة نحوها ولكنه لم يشعر بالضيق.

- حسنًا مازال الوقت مبكرًا لمناقشة الأمر.

أمسك يدها واقترب من أذنها.

- يمكننا مناقشته فور الهبوط.

ضحكا فنظر الركاب نحوهما في غضب.

شعرت بالأسف وهي تتأمل خصلات شعره المائلة على جبينه ووجهه الطفولي المنزعج. يستحق من هي أفضل من "آشلي"، بينما تفكر هي بـ"عُمر" من الفجر إلى الليل، حتى أثناء تبادلهما الحب تفكر في "عُمر"، مما سبب لها ألم حاد. كيف يمكن أن تتزوج من "سينان"؟

أسندت ظهرها ومددت ساقيها حتى لمست المقعد أمامها وتظاهرت بقراءة مجلة. تقابل العديد من الرجال اللطفاء غير "عُمر". لم تعشق سكيرًا أو مختالا غبيًا. لم يُسيء أحدهم معاملتها أو يجرحها. حينما بدأت

تفكر بأن الله - على الأرجح - قد سئم من أمنياتها اللا نهائية - ومن تفكيرها المستمر بـ"عُمر" رغم كل من يرسلهم إليها من الرجال المتميزين - لاحظت أن "سينان" يحدق بساقي الشابة الجالسة في الصف المجاور، بدا كأنه غير قادر على نزع عينيه من عليها، تظاهرت "آشلي" بالنوم. يبدو أن الغيرة قد عادت إليها بعد اقتحام "عُمر" لحياتها.

بعد حوالي عشرة دقائق قامت الشابة وتوجهت إلى الحمامات. كانت في أوائل العشرينات من عمرها، ترتدي تنورة قصيرة ضيقة لا تتماشى مع أحدث صيحة من الموضة. ظل "سينان" يتابعها بعينيه، كانت جميلة بلا شك، لكن ليس بالقدر الذي يتطلب هذه المتابعة المُلحة.

بدأت تفكر أن "سينان" لا يستحق امرأة أفضل منها، فهما يتشاركان نفس الروح. فالطيب يقابل الطيب وكذلك الخبثاء يجدون بعضهم البعض. الفرق بين البشر هو مقدار الخير والشر بداخلهم، إذا كان باستطاعة إنسان أن يقتل فالجميع يستطيع ذلك، وإذا تمكن شخص من الكذب فالجميع قادر على الكذب ونفس الحال بالنسبة للخيانة. فذلك الخط الفاصل بين "الأم تيريزا" والسفاح "چاك" ليس بالخط السميك. لدى الجميع – في نهاية الأمر – جوهر متشابه. لدى الجميع بذور لكل الصفات ولكن القدر والظروف يحددان أي البذور يتم ريها، بذور الخير أم الشر. وخطيئة أي شخص تنتمي إلينا جميعًا.

فجأة، لم تعد فكرة الزواج فكرة سيئة. حسب دراسة قرأتها سابقًا، فالمرتبطين لا يمكنهما معرفة بعضهما البعض بأكثر من نسبة ٥٠٪ سواء

المتزوجين أو الغير متزوجين، وسواء كانوا معًا لأربعة أشهر أو أربعين عامًا، لن يتغير الأمر. مهما حاولت سوف تعرف نصف شريكك ويظل النصف الآخر في الظلام. تعرف "آشلي" نصفها المُظلم ولكنها لا تعرف نصف "سينان" المُظلم، لذا لن يعرفا أبدًا من منهما لا يستحق الآخر.

عادت الشابة والتقت عيناها بعيني "سينان" أثناء جلوسها، فتبادلا النظرات لفترة أطول من الطبيعية. "عرض علي الزواج منذ عشرين دقيقة والآن يغازل فتاة أخرى" حدثت "آشلي" نفسها "يستحق الزواج مني إذًا".

لِمَ لا تتزوجه؟ سينفصلان إن فشلا، تأتي المشكلات دومًا مُرفقة بالحلول. إذا اختارت شراء كؤوس جديدة، وطقم فضية، ومفارش طاولات وأثاث جديد لتمرح قليلًا، فربما ينتهي هوسها بـ"عُمر" إن تشتت عقلها. تعلم أن الكؤوس سوف تتكسر وستختفي بعض قطع الفضية، وتُلطخ المفارش بالبقع، وتصاب القدور بالخدشات وتصبح كل أشياءها الجديدة قديمة وبالية، وتقل متعة التواجد مع "سينان" وتخبو ضحكاتها. لأول مرة تمنت "آشلي" أن ترزق بطفل: طفل صغير وردي.. إن لم يداوي شيئًا جراحها فسوف يداويها الطفل. رغم محاولة عقلها أن يثنيها عن هذه الترهات إلا أنها لم تستمع إليه. فالمنطق لا يداوى جروحك أو يساعد قلبك على الالتئام.

نقرت على كتف "سينان" وقالت:

- فلنتزوج.

35

كان المطار فوضويًا، وقفت "آشلي" تنتظر حقائبهما بينما ذهب "سينان" إلى ركن بعيد آملًا أن يكون أقل إزعاجا ليتصل بوالدته وينقل إليها الأخبار السعيدة.

ارتبكت "آشلي" عندما فكرت في إجراءات التعارف المُقبلة. كانت الشابة ذات التنورة القصيرة تقف على الجهة المقابلة تمضغ علكة، لسبب ما أثارت حقيبتها ذات القطة الكرتونية "هاللو كيتي" استفزاز "آشلي". رغم أن "آشلي" لا تكره هذه القطة عادة. في هذه اللحظة عاد "سينان".

- ابتهجت والدتي، وتتشوق لمقابلتك.

- جيد.

عجز "سينان" عن إبعاد عينيه عن الشابة مجددًا. في المقابل أرسلت "آشلي" نظرة لطيفة لرجل يقف على بعد، وجاءها الرد على الفور. بدا كفنان وكان في أوائل الأربعينات. ابتسم لـ"آشلي" وأجابته بابتسامة أخرى. احتاج

"سينان" للحظات حتى أدرك ما يحدث - وتصرف مثل الرجال.

- لِمَ لا تغازلينه مباشرة؟

- ماذا؟

- رأيت كيف تتبادلا النظرات.

- حقًا؟ هل ستأكلك الغيرة من البداية؟

قبلته "آشلي" ولم ينظر "سينان" نحو الشابة مرة أخرى. في الواقع نسى أمرها تمامًا وسلط تركيزه على "آشلي"، ظل يتابعها سرًا - بقدر ما يمكن للرجال من التظاهر بالسرية - ليرى لو كانت ستنظر نحو الرجل مرة أخرى. عليك أن تفكر قبل أن تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يُفعل بك. والرجل ذو العينين الزائغتين يستحق امرأة ذات عينين مماثلتين. العلاقات - في نهاية الأمر - هي مشاركة أدوار وعليك أن تكون نبيهًا أثناء توزيع الأدوار. تعلم "آشلي" أن الطيبة غير مناسبة في العلاقات وأنها لو لعبت دور المرأة الغيور الآن فستحتاج للعبه لأعوام عديدة قادمة، لذا اختارت دور المرأة التي يغار رجلها عليها. وللتأكيد على ذلك حرصت على أن يراها "سينان" تبادل الرجل النظرات مرة جديدة، عندما قطب "سينان" حاجبيه في ضيق علمت أن مهمتها قد تمت على أكمل وجه. من الآن فصاعدًا أينما خرجا معًا سينشغل "سينان" بمتابعة نظراتها عن تأمل تنورات النساء.

36

استيقظت "آشلي" - في صباح يوم زيارة "نورماندي" - وتوجهت فورًا لتستحم، سيصل أصدقاء "سينان" قريبًا ليتناولوا الإفطار معًا بالفندق ثم سيتحركوا مباشرة. أمامها نصف ساعة لتعد حقيبتها وتقابلهم في الأسفل. أخذت هي و"سينان" جولات كثيرة في المدينة خلال اليومين الماضيين لذا يشعران الآن بالإنهاك. لم تستطع مغادرة السرير هذا الصباح رغم استيقاظها مبكرًا، وبينما تجفف شعرها فكرت بأن هذه الرحلة كانت مفيدة لها. تنام بعمق مثل جثة، وتأكل جيدًا، ويتناقص تفكيرها في "عُمر" كل يوم. مجرد فكرة العودة إلى "إسطنبول" تخنقها، تتمنى البقاء في "باريس" لفترة أطول.

بينما تكدس أغراضها في الحقيبة لاحظت أن "سينان" يتابعها، أدرك على الأرجح مساوئ الزواج من امرأة لا تتقن تجهيز الحقائب بهذه الصورة. سيكون محقًا، فـ"آشلي" كارثة فيما يتعلق بأعمال المنزل، ليس لأنها غير منظمة أو غير نظيفة - بل على العكس تعد متميزة بالنظام إلى حد ما - لكنها من النوع الذي لا يثير الفوضى في منزله، حتى لا يضطر إلى تنظيفه. بمعنى آخر، هي كسولة، فبدلًا من التسبب في اتساخ المطبخ،

تقوم بتناول تفاحة على العشاء. لا تحب الضيوف لأنها تكره تقديم الطعام وإفراغ منافض السجائر. تسير أمورها بشكل جيد طالما هي بمفردها، لكن ما العمل لو تزوجت؟ يبقى هذا أمرًا غامضًا. كيف ستتعامل مع رجل يدعو الضيوف ويلقى بجواربه وملابسه في كل مكان، وسيرغب - على الأرجح - في عشاء دافئ على المائدة كل مساء. لا تريد تخيل وقت الإفطار - فهي معتادة على الاستيقاظ وارتداء ملابسها في عشر دقائق ثم ترك المنزل وأثر الوسادة ما يزال على وجهها.

من الواضح أن علامات الضيق بدت على وجهها دون أن تنتبه، لأنه سألها:

- ما الأمر؟ هل أنتِ بخير؟

- أكره الضيوف وأعمال المنزل. كيف سأتزوج؟ عندما أعود إلى المنزل مساءً لن أجد الجبن الذي تركته في الثلاجة صباحًا لأنك ستكون أكلته. ستكسر الكؤوس وتخدش القدور.

ضحك "سينان".

- هل فقدتِ عقلك؟ لا داعي للقلق لن آكل الجبن الخاص بكِ.

- لا تضحك، حسنًا؟ أنا محبطة وهذا ليس شيئا ظريفا.

- كيف يسعني ألا أضحك؟ استمعي إلى شكواكِ، القدور والكؤوس.. هل هذه مشكلات؟

- بالنسبة لي، نعم.

- ضعي نفسك مكاني، سأتزوج من امرأة غريبة الأطوار.

ألقته "آشلي" بأقرب وسادة، ضحكت وهي تصرخ به:

- تحرك.

كان صوت هاتفها يصدر من مكان ما، قلبت أغطية السرير ودخلت الحمام مرتين بحثًا عنه. في النهاية وجده "سينان" أسفل كومة الملابس التي صنعوها فوق أحد المقاعد، أعطاها إياه وكان الرنين مستمرًا. لم تفاجئها رؤية أسم "عُمر"، توقعت أن يكون هو المتصل المُلح. أجابت بصوت سعيد يعكس حالتها:

- مرحبًا.

- مرحبًا.

كان صوته متجمدًا، ثم أكمل:

- أردت الاطمئنان عليكِ، فسيارتك لم تتحرك بوصة واحدة منذ أيام.

شعرت بشيء يثلج صدرها، لا تشعر بالأسف على "عُمر" الآن. كلما تعذب كلما شعرت هي بالراحة.

- أنا في "باريس"، ولدي أخبار عظيمة لك، سأتزوج.

يمكنها الزواج فقط من أجل إخبار "عُمر" بذلك.

بعد صمت قاتم قال "عُمر":

- بالتوفيق.

ثم أغلق الهاتف.

- شكرًا جزيلًا، سوف أراك بعد عودتي.

قالت "آشلي" ذلك لطنين الهاتف، وهي ترسل ابتسامة دافئة لـ"سينان".

عندما نزلا إلى الردهة كان "إرهان" و"إسراء" في انتظارهما. كانت "إسراء" امرأة سمراء رقيقة ذات عينين كبيرتين تعكسان تحمسها، أحبتها "آشلي" منذ الوهلة الأولى. على العكس كان "إرهان" رجل ممتلئ الجسد، قصير وأصلع، لكن وسيم إلى حد ما، تأمل "آشلي" باهتمام بعد أن عرفه "سينان" بها.

بدا كلاهما ودود ودافئ، سيكونان شريكان مثاليان للعطلات. قال "إرهان":

- أين كنتما؟ لقد عذبنا الجوع.

توجهوا جميعًا إلى صالة الطعام وملؤوا صحونهم ثم جلسوا إلى طاولتهم، بدأت "آشلي" تشعر بالانزعاج بسبب نظرات "إرهان". لِمَ يتطلع إليها هكذا؟

عندما نجحت "آشلي" أخيرًا في الاندماج مع ما تقوله "إسراء" عن "نورماندي" قاطعها "إرهان" قائلًا:

- "آشلي"، أنتِ لا تتذكرينني، أليس كذلك؟

أجابت بنبرة اعتذار:

- كلا.

لم يبدو الرجل مألوفًا، حاولت التدقيق في وجهه بلا فائدة.

- مرت أعوام، وكان لي شعر حينها.

- أعتذر حقًا ولكنني بطيئة في مثل تلك الأمور.

- لا داعي للاعتذار، أنا صديق "كيم"، خرجنا جميعًا في عدة أمسيات.

بعد التحديق به للحظات تذكرته. كان صديق "كيم"، أو بعبارة أخرى، كان صديق "القنفذ". أخذت "آشلي" نفسًا متوترًا وقالت:

- نعم تذكرت الآن.

سأل "سينان":

- أي "كيم" هذا؟

- الذي يعمل في صناعة البلاستك، تعرفه، كان على مركبنا في عيد ميلاد

"إسراء".

- أجل، الرجل الوسيم، الذي أوشك على الزواج من فتاة حقيرة خدعته. أتذكر القصة التي أخبرنا إياها ذلك اليوم، واتضح أن الرجل الآخر هو حبيب والدتها أو شيئًا مشابه.

صححت "إسراء" خطأه:

- حبيب خالتها..

لم يستطع "إرهان" رفع عينيه عن صحنه. قالت "آشلي" محاولة الابتسام:

- كنت أنا هذه الحقيرة.

أصيب "سينان" بالدهشة، شاهدت "آشلي" تعبيرات وجهه تتحول من الدهشة إلى الرعب، ثم من الرعب إلى الغضب. أخيرًا سألها باتهام:

- ومازالت تقابلينه، أليس كذلك؟

- ليس بالطريقة التي تتوقعها.

- يتصل بك بعد منتصف الليل وتذهبين لمقابلته، أليست هذه الطريقة التي أتوقع؟

- لست أقيم علاقة معه ولن أناقش الأمر هنا.

ربما تبدو مذنبة لهم جميعًا، ولكنها لن تجلس وتدافع عن نفسها أمام شخصين قابلتهما للتو.

انكمش "إرهان" و"إسراء"، كان "إرهان" ما يزال غير قادر على رفع عينيه، فغالبًا ما ستقوم "إسراء" بتأنيبه لذكره الأمر لاحقًا.

صرخ "سينان":

- كلا سنناقش الأمر الآن.

نظرت "آشلي" إليه فشعرت بالحزن، بدا منهولًا وكانت عيناه تترجاها. كأنما يقول "رجاءًا قومي بإقناعي". بدا واضحًا استعداده لتقبل أي تفسير لأنه يريد أن يصدقها. إن أخبرته بالحقيقة سينتهي النقاش ولكن الحقيقة عبارة عن كذبة. لم تكن على علاقة جسدية بـ"عُمر" ولكنها تعتمد عليه عاطفيًا. يشغل تفكيرها ليل نهار، وكلما رأت شيء جميل تذكرته.

- لست على علاقة به.. ولكنني أحبه.

أخذت حقيبة اليد وتوجهت إلى الردهة، سحبت حقيبتها وتركت الفندق. فور صعودها إلى التاكسي نظرت خلفها بطريقة غريزية فرأت "سينان" يهرع وراءها. طلبت من التاكسي أخذها إلى فندق آخر.

37

كان اللون الأبيض يسيطر على غرفة الفندق الجديد ويعكس ذوق راق لا تشوبه شائبة، كما تطل الغرفة على الساحة حيث يتألق شتاء "باريس" زهوًا ويسعد أنظارك بالتطلع إليه. كأنما صُممت الغرفة خصيصًا للترفيه عن البشر، فخلصتها من توترها. ربما لم تكن موهوبة كفاية لتصميم مكان مثله، لكنها ذكية كفاية لتختار البقاء فيه، حيث نفسها على ذلك. كان من الممكن أن تضطر للمكوث في أحد الفنادق المعتمة المنتشرة في "باريس" والنوم على سرير نحاسي. لكن على العكس مثلت هذه الغرفة فوقعة من الأوكسجين لامرأة هربت من حافة الزواج للتو. حاولت إقناع نفسها بالاستلقاء والاسترخاء، والفخر لكسبها ما يكفي من المال لحجز هذه الغرفة، ثم العودة بعد ذلك إلى حياتها الطبيعية.

عندما سمعت هاتفها خشيت أن يكون "سينان"، لا تريد العودة إليه، ولا تريد الذهاب إلى "نورماندي" أو إلى الجحيم. تنهدت بأريحية لأنها تخلصت منه ثم تعجبت. لن تفهم نفسها حتى وإن بلغت المائة. ظننت لفترة أنها أحبت "سينان" والآن تشعر كأنها تخلصت من عبء ثقيل ولا تعرف السبب. عاشت إحساس فقدان أحدهم وتعايشت معه لشهور وهي تتأمل سقف غرفتها في "روملي حصار" ولكنها بعيدة كلية عن ذلك الآن. لكن رغم كل

شيء، غضبت لإدراك عجزها عن تحديد من تحب ومن لا تحب.

استمر رنين الهاتف، لكنها اطمأنت لرؤية اسم "زيرين". أجابت بالفرنسية:

- "بون چور".

فلم تبادلها "زيرين" المرح بل هجمت عليها بالسؤال:

- ما قصة الزواج؟

- أنا بخير يا "زيرين"، كيف حالك؟

- توقفي عن هذا الهراء، بما أنك أجبت بالفرنسية فمن الواضح أنكِ بخير، هل ستتزوجين؟

- من أخبركِ؟

- اتصل "عُمر" ليتأكد من الأمر، فقلت له "وكيف أعلم ماذا تفعل تلك المُختلة؟"، كان عليكِ سماع صوته، أوشك على البكاء، بدا مكتئبًا.

قالت بارتياح:

- أتمنى أن يزداد حاله سوءًا.

- اطمئني فهو بائس بالفعل، ولكن أخبريني عما يحدث، عن الزواج، قبل أن أفقد عقلي.

- عرض "سينان" الزواج مني ووافقت، سأخبرك بالتفاصيل فور

عودتي ولكن لا وقت لدي الآن.

تعلم أن "زيرين" لن تستطيع إبقاء فمها مغلقًا لذا لن تخبرها بالحقيقة الآن. يجب أن يظن الجميع أنها سوف تتزوج. على الأقل لبضعة أيام، لا تريد إزالة الضيق عن نفس "عُمر".

- حسنًا، سوف نتحدث فور عودتك.

- "زيرين"!

- ماذا الآن؟

- ماذا قال "عُمر" أيضًا؟

قهقهت "زيرين".

- لا داع للضحك، لدي بعض الفضول.

- أقسم أنكِ تريدين الزواج فقط لإغاظة "عُمر" حتى يسقط ميتًا.

- ليس حقيقي.

- إذًا سوف أخبرك بما قال بعد عودتك. سلام.

أنهت "زيرين" المكالمة.

شعرت بارتياح بعد أن اطمأنت على معاناة "عُمر"، طلبت الطعام من خدمة الغرف واستلقت على الوسادات الوثيرة أمام التلفزيون.

38

من عيوب انفراد المرأة هي اضطرارها لسحب حقائبها الثقيلة. الأمر يفوق الاحتمال، خاصة وأن للنساء دومًا حقائب أثقل من وزنهن.

بدأت نقاط العرق تسري على ظهرها بعد أن دخلت المصعد مع حقائبها أخيرا. وسحب الحقائب لا يُقارن بإنزالها من فوق التاكسي - فهذا ألم حقيقي - دخلت منزلها أخيرًا وهي تقسم أنها لن تأخذ هذا القدر من الأمتعة معها في الرحلة التالية - دائمًا ما تردد هذا القسم ثم لا تنفذه - ليس من المنطقي أخذ ثمانية أزواج من الأحذية لرحلة مدتها خمسة أيام - ولكن هكذا تتصرف النساء - حمالة صدر مختلفة لكل فستان وحذاء متناسب معه. ويجب إتمام الطقم بمعطف ملائم، شال، قفاز وبعض الحلي. ويزيد من صعوبة الأمر أن النساء يستحيل أن يستخدمن الشامبو الخاص بالفندق، فسيبدو شعرهن كأن صاعقة ضربته للتو، لذا عليهن أخذ شامبو وبلسم ومرطبات للبشرة وكريمات صباحية ومسائية للوجه. فوط صحية بقياسات مختلفة للصباح والمساء، فالقاعدة التعيسة أن الدورة الشهرية دائمًا ما تتوافق مع مواعيد الرحلات.

تركت الحقيبة في الممر وأسرعت إلى غرفة المعيشة لتجلس على الأريكة وتشعل سيجارة، أرادت تفحص أركان المنزل كأنها تركته لأشهر عديدة. "منزلي الحبيب، أريكتي العزيزة، منفضة السجائر المميزة، التي هي عدوة لصحتي ولكن صديقة روحي المفضلة" هكذا فكرت "كم جميلة هي العودة إلى المنزل" لم يبقى لديها من الطاقة ما يكفي لتعد لنفسها شرابًا ولكن الأمر لم يزعجها. استنفذت طاقتها في سحب الحقائب.

أرادت الاتصال بـ"زيرين" ولكنها تعلم أن صديقتها سوف تعذبها إن اكتشفت فضولها.

دخلت غرفة النوم وسحبت من أعماق الخزانة صندوق أحذية، تحتفظ فيه ببعض الأشياء الصغيرة المتعلقة بـ"عُمر": قلادتين أهداها إياهم، حلق، شال، دبوس على شكل فراشة، أوراق صغيرة كتب عليها بعض الملاحظات لها، أحد كتبه، بعض الصور، ثلاثة شمعات من كعكة عيد ميلاد، منديل كتب عليه "حبيبتي"، قلب صغير قام بقصه من قماش وتركه على وسادتها في الصباح، حصى ذات تصميم غريب وجداها على الشاطئ وفرشة أسنان. اصطحبت معها الصندوق إلى كل منزل انتقلت إليه ورغم ذلك كانت تأخذ نفس عميق وتفتحه بحذر في كل مرة، كأن جني سوف يخرج منه. لا تتذكر متى قامت بفتحه آخر مرة.

أخذت الصور ووضعتهم على السرير، لم تختفي ألوانهم وإن بهتت بعض الشيء فقد كانوا نتاج تكنولوجيا سبعة أو ثمانية أعوام مضت، تأملت وجهها الطفولي وابتسمت. تنير وجهها في كل الصور - كانوا خمسة صور - ابتسامة

مشرقة، كانت تشعر بالبهجة لمجرد الوقوف إلى جوار "عُمر".

سمعت طرق على الباب، اقتحمت "زيرين" المكان بينما "آشلي" تحاول تحريك حقيبتها لإفساح مجال. دائمًا ما تتغير الأجواء مع قدوم "زيرين"، فهي تأتي ومعها طاقة خمسة أفراد.

احتضنتها "زيرين" وقالت بحماس:

- ها هي العروس قد عادت، أين العريس؟

لاحظت "آشلي" ارتياح "زيرين" عندما لم تجد "سينان"، الآن ستتمكن من النميمة بشكل أفضل، سحبت "آشلي" إلى غرفة المعيشة وجلست على أفضل مقعد وهي تشعل سيجارة.

- هيا أريد أن أعرف، سوف يقتلني الفضول، هل ستتزوجين حقا؟

- كلا.

- ولكن متى؟

- قلت "كلا" أيتها المغفلة، هل أنتِ صماء؟

- ماذا تعنين؟

- أعني كلا، بحق أمي المتوفاة، كلا، لن أتزوج.

تطلعت "زيرين" إليها بتعبير فارغ لدقيقة.

- لن تتزوجا؟

- كلا، بل انفصلنا... نفضي سيجارتك من فضلكِ.

- لماذا؟

- لأنكِ تجلسين على مقعد ثمين.

- أوف ألا يمكنك النطق بإجابة طبيعية؟ ما تفسير هذا الانفصال؟

لخصت "آشلي" القصة ويبدو أن صديقتها وجدت الأمر شيقًا حيث أنها لم تعلق ولم تسأل حتى انتهاء "آشلي".

- يا إلهي، اعتقد أنه لا مفر من العودة إلى "عُمر" الآن.

- لماذا، هل أقام علاقة معكِ كذلك؟

- أصبحت شديدة التعلق بأمر علاقته بـ"نالان"، بالمناسبة، قابلتها منذ أيام وأعطتني انطباع أنها ترغب في مصالحتك.

- لست مهتمة بـ"نالان" ولم أكن سأعود إلى "عُمر" حتى لو لم اكتشف أمر علاقته بـ"نالان"، أنظري إلي، لقد دمر حياتي وشوهني، لم أعد قادرة على التعلق بأحدهم، لم أعد أستطيع الحب، أقابل رجل لطيف ثم تحدث كارثة، أقابل رجل مميز مثل "سينان" وأقرر الزواج منه ولكن

ينتهي الأمر، هل تعلمين ما السيئ بالأمر؟ لقد خسرت "سينان"، وهل اهتم بذلك؟ كلا، لا أحب أي شخص، ولا أكترث لفقدان أي شخص، وبالنسبة لـ"عُمر"، لم يريدني أبدًا، ترك زوجته من أجل امرأة أخرى ثم أقام علاقة مع صديقتي المفضلة، هل أبدو لكِ مغفلة كي أعطيه فرصة أخرى وأسمح له بتدميري؟ كنت فتاة صغيرة، وحيدة، واقعة في الحب، لكنه كان رجلا ناضجًا، ولأنه لم يكن قادر على الاختيار اضطررت أنا أن اختار، لن أسامحه، يمكنني مسامحة "نالان" ولكنني لن أسامح "عُمر" أبدًا.

- ولكنه يحبكِ بشدة.

- هراء، هل يحبني!

- يظل يردد أنه دمر كل شيء.

- نعم فعل.

- وهناك شيئًا أخر، قال شيئًا جعلني أشعر بالسوء.

أخذت "آشلي" نفسا عميقًا وأشعلت سيجارة ثم قالت:

- ماذا قال؟

- سألني "هل تظنين أن "آشلي" أحبتني في أي وقت؟".

- بما أجبتِ؟

- بكيت.

39

"أعلم قدر الألم الذي شعرت به، القلق، الليالي الطويلة، أعلم كم بكيت وكم تغيرت. أعرف نفسي وجانبي الخاص من القصة فقط، ولكن ماذا عنه؟ عندما كنت أبكي بسببه لأعوام، أثقب روحي وأعاني من صدماتي، يأتي ليسأل هل أحببته؟ ربما قضى ليال بلا نوم، ونزف كل ثقب من قلبه، من يعلم؟ ربما كافح لينقذ نفسه من سهام جراح نفس هذا الحب".

مضت ساعات على رحيل "زيرين". وما تزال "آشلي" تقاوم أفكارها منذ انفردت بنفسها. شعرت كأن خمسة نساء يتصارعن داخل رأسها - خمسة نساء خلعن قفازاتهن وبدأن في التعارك - أعلاهن صوتًا هي التي ظلت صامتة طوال الأعوام الماضية، هي الآن لا تتوقف عن التحدث.

ألم يطرق بابها من سبعة أعوام قائلًا إنه مستعد للقيام بما تريد؟ لو تنازلت قليلًا عن كبرياءها وطلبت منه الانفصال عن "داليا" ألا يحتمل أنه كان سينفصل عنها؟ ألم تكن هي من اختفت وأوصت "زيرين" و"نالان" و"أيلا" بإخباره بكونها بخير وسعيدة عند سؤاله؟ كيف تغضب منه لزواجه بتلك المدعوة "طوبى" بعد أعوام عدة؟

أمر "نالان" مختلف ولكن "آشلي" وقعت في الكثير من الأخطاء كذلك أثناء علاقتهما، كانت شديدة الاعتزاز بنفسها، شديدة الحساسية وفي بعض الأحيان شديدة التفاهة.

بعد امتلاء منفضة السجائر، شعرت برغبة في التقيؤ فخلدت إلى النوم فورًا. تقلبت كثيرًا وكان نومها مضطرب، كما واصلت تلك المرأة في رأسها الحديث بشكل متواصل.

40

فور وصولها إلى مكتبها تم إخبارها برغبة "علي كريم" في التحدث إليها. لا يمكنك الحصول على دقيقتين من الراحة!

حياها "علي كريم" ببهجة كأنهما ما أوشكا على خنق بعضهما البعض من أسبوع مضى.

- تفضلي بالجلوس. كيف كانت "باريس"؟

- جيدة.

أسند ظهره وثبت عينيه على "آشلي"، يبدو أن لديه شيء يود قوله ويحسب أنه هام.

- "آشلي"، لقد مررنا بفترة عصيبة، وعاملنا بعضنا البعض بخشونة، أعتذر عن أي ضرر سببته لحياتك المهنية وأنا على استعداد للقيام بما يتطلبه الأمر لإصلاح ذلك.

- شكرًا، أعتذر كذلك عن غضبي وإهانتي لك، لم تكن تلك آرائي الحقيقية.

بالطبع كانت آرائها ولكن إنهاء الحرب مع "علي كريم" الآن يناسبها.

- أريد أيضًا أن أعلمك باستياء "نالان" الشديد، لقد انفصلنا - في الواقع أرادت هي أخذ استراحة - لا تعلمين كم أحزنها فقدانك كصديقة.

- هذا أحزنني أيضًا.

- هل تظنين التصالح ممكن؟

- ربما لاحقًا.

يمكنها مسامحة "نالان" ولكن ليس الآن، ما تزال جراحها تنزف، ربما في المستقبل. لن تتحمل مجرد رؤية وجهها الآن. على كل حال شعرت بالراحة لانفصالهما، أو الاستراحة، أيًا كان.

تركت مكتب المطرقة وهي تشعر بتحسن كبير. كان من حسن الحظ أن لديها الكثير من العمل فلم تشعر بمرور الوقت. اتصلت بها "زيرين" - قبل أن تترك المبنى - وكان صوتها مُثارًا:

- لقد تحدثت إلى "عُمر"، هو مهووس بكِ، توقعي أن يطرق بابكِ اليوم، لم أخبره عن انفصالك عن "سينان"، خشيت غضبك، ولكنه أخبرني أنه سوف يأتي إليكِ ويحاول إقناعك بالتراجع، قال أنه سوف يأتي إلى بابكِ ويتوسل إليكِ كل يوم إن تطلب الأمر.

- فليتوسل كما يشاء لا يهمني الأمر، لا أريد أي رجل في حياتي لفترة،

سوف أخذ راحة حتى أتخلص من سمومهم.

- افعلي ما يناسبك من هراء.

دخلت السكرتيرة النحيفة مكتب "آشلي" - أعادها "علي كريم" هذا الصباح - بدت سعيدة وهي تضع طرد كبير على مكتب "آشلي". أرسلت وكالة الإعلانات في الغالب دراسة الأولية.

أغلقت الهاتف وفتحت الطرد، كان رد فعلها الأول أن غطت فمها بيدها ثم سقطت في مقعدها.

كان أمامها واحدة من اللوحات التي اضطرت لبيعها بعد وفاة "چوليد"- عندما كانت مفلسة - كانت هذه الأجمل، والأعز على قلبها، حتى أنها رأتها في أحد الأحلام بعد بيعها.

أشعلت سيجارة وقرأت الورقة المُرفقة "لقد بحثت عنها كثيرًا ولكن ليس بقدر بحثي عنكِ".

كان خط "عُمر".

41

في وقت متأخر بعد منتصف الليل، كانت ما تزال رابضة في ركن من الأريكة، ظلت هناك ساعتين كالحشرة. وفجأة، هرعت إلى غرفة النوم، ارتدت الكنزة الخضراء ذات الرقبة العالية والبنطال الجديد الذي اشترته حديثا. وضعت بعض المسحوق على وجهها وجمعت شعرها، وتركت المنزل في عجالة دون إطفاء الأنوار.

سوف تذهب إلى "عُمر"، حبيبها، رجلها الوحيد، مصدر نعيمها. سوف تطرق بابه وتبقى هناك لبقية عمرها، سوف تضمه بشدة فلا تستطيع أي قوة أخذه منها. كلاهما دفع ثمن الحب ويستحق السعادة. من غيرهما؟ لا تريد أن تعيش في تعاسة دائمة كالحمقاء أو أن تموت وحدها في مركز للمسنين. تريد مشاهدة الأفلام وتناول الطعام مع "عُمر"، تريد أن يصحبها "عُمر" إلى العلاج الكيميائي إن أصابها السرطان.

عندما أدارت السيارة ارتعشت فرحًا، كان الطريق الساحلي مُظلم وخال لكنه بدا مضيئا لها. "لن أنسى هذا الطريق". لم تعد قادرة على احتواء سعادتها وهي تقود بصعوبة في شوارع "بيبيك" الضيقة. خلال

دقائق ستشعر بدفء سرير "عُمر" وتبدأ حياة جديدة. عرفت أين يسكن عندما تقابلا على العشاء ولأنها تعرف هذه الضاحية عن ظهر قلب، تمكنت من تحديد مكان منزله من خلال وصفه. سوف تتصل به إن لم تجد الاسم على الأجراس بالأسفل ولكن ماذا لو كان هاتفه الخلوي مغلقًا؟ فهي لا تعرف رقم منزله. سوف توقظ الحارس، سوف توقظ العقار برمته وليقول الجميع هذه حبيبة "عُمر" المخبولة.

كان إيجاد أماكن لصف السيارة في تلك الضاحية في هذا الوقت صعبًا. لذا صفت السيارة في أول مكان وجدته ولم تحاول الانتظار حتى تقترب من منزله. ترجلت من السيارة. ستمشي خطوات قليلة وإن كان مزاجها يسمح بالركض حتى "أنقرة".

كان الشارع مُظلمًا لكنها لم تشعر بالخوف، تسارعت دقات قلبها بحماس. وعندما رأت سيارة "عُمر" ارتسمت ابتسامة على وجهها. أرادت احتضان السيارة. أرادت احتضان كل ما يخص "عُمر". كم هو جميل أن تكون حيًا.

ثم، فجأة رأت الـ"بولو" الخضراء مصفوفة بالقرب من سيارة "عُمر"، الـ"بولو" الخاصة بـ"نالان"، الـ"بولو" موديل ٢٠٠٣ التي وقعت في البنك كضامنة لـ"نالان" عندما اشترتها، تلك التي يتدلى من المرآة الخاصة بها بطة صغيرة.

مدت ذراعها ولمست غطاء السيارة، كان باردًا كالثلج، وحقيقيًا كالثلج، وقفت بلا حراك لفترة. ظنت النقاط المتساقطة على يدها حبات مطر،

ولكن لِمَ يترك المطر أثر مالح على وجهها؟

عادت من الشارع الذي أتت منه، ورأسها مُلقى على عنقها الضعيف - كغصن مكسور - وفي تلك الليلة التي لم تسقط فيها قطرة مطر واحدة على "إسطنبول" أشعلت "آشلي" مساحات الزجاج طوال الطريق حتى وصلت إلى منزلها.

تمت

#كتب_مختلفة #تركيا



الفرق بين البشر هو مقدار الخير والشر بداخلهم، إذا كان باستطاعة إنسان أن يقتل فالجميع يستطيع ذلك، وإذا تمكن شخص من الكذب فالجميع قادر عليه ونفس الحال بالنسبة للخيانة. فذلك الخط الفاصل بين "الأم تيريزا" والسفاح "چاك" ليس بالخط السميك.

لدى الجميع - في نهاية الأمر - جوهر متشابه. لدى الجميع بذور لكل الصفات ولكن القدر يحدد أي البذور يتم ريها لتنمو. وخطيئة أي شخص تنتمي إلينا جميعًا.



هاندي ألتايلي

كاتبة تركية مواليد 1971 في مدينة إدرميت، أنهت دراستها في مدرسة جالاطا سراي ثم أتجهت لدراسة العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة بوازچي بالبوسفور، أحد أهم الجامعات بالعالم.
ألفت عدد من الأغنيات والإعلانات في مختلف الوكالات.
عام 2006 نشرت أول رواية لها والتي احتلت مكانة كبيرة بين الكتب الأكثر مبيعا في ذلك العام ثم أصدرت ثاني رواية لها عام 2009 بعنوان "الداء" أما ثالث رواياتها فنُشرت عام 2012 تحت عنوان "فنجان قهوة"وترجم لها باللغة العربية رواية "لون الغواية " 2014.



60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg


ISBN 978-977-319-215-0
9 789773 192150 >

تصميم الغلاف: محمد سيد